الرسالة



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١١٣ – الخميس ١٢ محرم ١٣٨٥ هـ – ١٣ مايو ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

أثر الأدب في نهضة العرب

بقلم: أحمد حسن الزيات

لا يمكن أن تكون ثورة الا اذا سبقتها نهضة . ولا يمكن ان تكون نهضة الا اذا بشرت بها دعوة . والدعوة اما بعثة نبي أو رسالة مصلح . وليس للنبيين من عدة الا ادب الوحي . ولا للمصلحين من أداة الا وحي الأدب . فالنهضة والثورة تتفقان في المصدر وتختلفان في المظهر : النهضة انتباهة ، والثورة انتفاضة . النهضة علاج يوقظ الوعي الغافل ويقوي الجسم الضعيف ، والثورة جراحة تستأصل الداء وتقي المريض النكسة . النهضة نهر فياض يتنفس بالحياة ويفيض بالخصب ويهيء البلاد للعمران ، والثورة سيل جارف يحطم الحواجز ويقتلع الصخور ويهيء الأرض للربيع . النهضة دعوة باللسان ما دام هناك عقل مستعد ، والثورة جهاد بالسيف متى تغلب على العقل هوى مستبد . والنهضة والثورة قوامهما كما قلت واحد هو الأدب . يكون للنهضة غذاء يحيي ونورا يهدي ، كما يكون للثورة وقودا يشعل ونارا تطهر . فاذا زالت العقبات واستقرت الأمور وسكنت الثورة انفرد الأدب بالنهضة ينفحها بروحه حتى لا تفتر ، وينضحها بنداه حتى لا تجف . وضراوة النهضة وجفافها معناهما المادية . والمادية هي علة الشقاء للانسان الحديث أصيبت بها المدنية الأوربية حين وقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب ، فتباعدت القربى ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست الأطماع ، وتكاشفت الأحقاد ، واضطرب الناس في سبيل الكدح ، والهبتهم حوافز النهم ، حتى عجزوا بخلقتهم وطبيعتهم عن مسايرة الحضارة الخالية من الروح والضمير والحب ، فسعوا بالطائرات وعملوا بالآلات ونظروا بالتلسكوب وسمعوا بالميكروفون . وضاقت عليهم الأرض برحبها فضربوا في الآفاق واختصموا على بلاد المستضعفين وحكموا بينهم السلاح ، فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسعير الآخرة ، تنضج الجلود ولا تزهق الأرواح ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم للطبيعة الخداعة هذا الثوب البراق بفضل هذا الانسان الأحمق الذي يعمل ولا يعرف لماذا ؛ ويسرع ولا يدري الى اين !

لا نستطيع اذن ان نفصل بين نهضتنا والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذي نكبت به الحضارة الغربية ، وايمانا بان لنا نحن العرب رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ويدوم المدد بين الله والانسان .

سنظل مؤمنين مصدقين بما قال الله تعالى فينا « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وسنعتقد دائما أن روح العروبة هو الأدب . وجدها بعد شتات في القرن السادس ، ثم احياها بعد ممات في القرن العشرين .

وفي هذين القرنين سجل التاريخ للعرب نهضتين عظيمتين مهدت الأولى للاسلام وكانت فتحا لعالم جديد ، ومهدت الأخرى للسلام وستكون فاتحة لعالم افضل .

كانت النهضة الأولى موطنها الحجاز ومبعثها مكة . ذلك لأن مكة كانت في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد محطا للقوافل التجارية الآتية من الجنوب تحمل البضائع من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر . وكانت طرق مكة الموصلة آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش . فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة آمنين ، فينزلون الأسواق ويهبطون المدن ، فيستفيدون بسطة في العلم وقوة في الفهم وثروة في المال وخبرة بالحياة .

وكانوا بحكم ايلافهم رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى حوران ، اشد العرب اختلاطا بالحبشة في الجنوب ، وبالفرس في الشرق ، وبالروم في الشمال . ثم كانوا على أثارة من العلم بالكتب المنزلة : باليهودية في يثرب وما جاورها من ارض خيبر وتيماء ، وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة .

ذلك الى أن مكة كانت في الجاهلية كما هي في الاسلام موضع البيت المحرم ومكان الحج المفروض فتفد اليها قبائل العرب من أقطار شبه الجزيرة يقضون المناسك ويتبادلون المنافع . وبفضل هذا الاجتماع الديني العام كانت تقوم سوق عكاظ السنوية في شهر ذي القعدة على مسافة قريبة من مكة ، فيجتمع فيها الحجيج وهم في حمى الأشهر الحرم ، وهي الهدنة العامة المقدسة ، فيبيعون ويشترون . ثم تدعوهم طبيعة الاجتماع الى المقارضة بالقول والمفاوضة في الرأي والمبادهة بالشعر والمباهاة بالفصاحة . وكان الشعراء من أمثال النابغة والأعشى ، والخطباء من امثال عمرو ابن كلثوم وقيس بن زهير ، والكهان من امثال قس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت ، يقومون في هذه السوق مقامات مشهودة للمدح والفخر والوعظ . تحرض بعض النفوس على الشر ، وتوجه بعض النفوس الى الخير ، وتسن للفتوة العربية خلال المجد ومناهج الحمد ، وتذيع فيما تذيع وحدة الخلق والعادة واللغة والغاية .

كان أثر عكاظ في نهضة العرب أشبه بأثر الجمناز في نهضة الاغريق . كان الاغريق يقيمون الجمناز للألعاب الرياضية في مدينة أولمبيا كل أربع سنين كلما حجوا معبد (جوبتير) كبير الآلهة . وكانوا يحرمون القتال على أنفسهم مدة الحج واللعب على نحو ما كان يفعل العرب في الأشهر الحرم . ثم أصبح هذا الملعب الرياضي ميدانا لرجال الفكر والشعر والخطابة والتمثيل كان له الأثر البالغ في ازدهار الأدب الاغريقي على الجملة .

على أن عكاظا كان أثره في نهضة العرب والأدب أقوى ومداه أبعد ، فقد كان الرواة ينصرفون منه الى احيائهم وقراهم ، وعلى ألسنتهم ماحفظوا من شعر ، وماسمعوا من قصص ، وما اكتسبوا من علم ، وما شهدوا من وقائع ، فينشرونه بين الناس في السوامر والأندية فيتفتح الوعي وتنشأ المعرفة .

وهكذا اجتمعت الأسباب الطبيعية لنهضة عرب الشمال قبل الاسلام من احتشادهم فى هذه الأسواق ، واجتماعهم لأداء الحج ، واختلاطهم بأول الحضارات والديانات من الأمم المجاورة ، واحتفالهم لقرض الشعر وتأثرهم به ، وطموحهم الى المجد وسعيهم له ، حتى كان من ثمار تلك النهضة أولئك الأبطال الأعلام الذين قبلوا الاسلام وفهموه وفقهوه ونصروه ونشروه وقاموا على أمره ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمرو وخالد وسعد • وليس أدل على نضج العقلية العربية فى ذلك الحين من هؤلاء • وكلهم من أقطاب الفكر والرأى والخطابة •

ولسلطان الأدب على النفوس فى هذه النهضة كانت معجزة الاسلام الوحيدة هى البلاغة ، وسلاحه القاطع هو التحدى • ثم كانت من معارك الدعوة النبوية العظمى معركة الشعر • نشبت بين حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه من شعراء الاسلام ، وبين عبدالله بن الزبعرى وأبى سفيان وعمرو بن العاص من شعراء الشرك • فلما اصطدمت الدعوة بالعناد ، ووضع المشركون فى طريقها السيف ، أمر الرسول بالجهاد فكانت الثورة وكان الفتح وكان السلام • واستمر الأدب يؤازر الثورة كما آزر النهضة ، فكان يشجع القلوب بالشعر ، ويحمس الجنود بالقصص ، ويريض الأمور بالخطابة ، حتى ظهر الاسلام على الدين كله ، وتم نوره فى الشرق كله :

هذا اجمال القول فى النهضة العربية فى القرن السادس ، مهد لها الأدب ، ومهدت هى للاسلام ، وأتم الاسلام الألفة بين القلوب والوحدة بين القبائل ، ثم اشعل الثورة على الوثنية والارستقراطية والفساد حتى طهر الأرض وحرر الناس ومدن العالم •

أما نهضة العرب الأخرى فى القرن العشرين وأثر الأدب فيها فهى موضوع المقال التالى •

« أحمد حسن الزيات »

تصويب

وقع فى الافتتاحية العدد الهجرى أخطاء مطبعية نصححها فيما يلى :

فى السطر السادس من الصفحة الثانية : الفانى ، وصوابها الفافى

وفى السطر ١٧ من الصفحة الثالثة ونساء ، وصوابها ، وشاء

وفى السطر ١٢ من الصفحة الرابعة تنحدر ، وصوابها تنحدر

نحو أدب قومي في الجزائر

د. محمد عبد الهادي شعيرة

« في الجزائر معركة ناشبة بين الادباء الناطقين بالفرنسية وبين الادباء الناطقين باللغة العربية وهدف المعركة هو الوصول الى خلق ادب قومي، والى تحديد ماهية هذا الأدب، ويذهب الأدباء الناطقون بالفرنسية الى أن ادبهم أدب قومي يجب ان يعيش الى جانب الادب العربي الناطق بالعربية ، وقد اردت أن يطلع قراء الرسالة على اخبار هذه المعركة » .

في الجزائر اليوم ادباء من العرب كتبوا أدبهم باللغة الفرنسية ، والظاهرة نفسها تتكرر في أنحاء المغرب الاخرى ، في تونس وفي مراكش ، وتتكرر الظاهرة كذلك في المستعمرات الفرنسية في القارة الافريقية .

وقد اشتهر من هؤلاء الكتاب في الجزائر عدد كبير مثل : كاتب ياسين ، ومراد بربون ، ومالك بن نبي ، ومالك بن حداد ، ومولود فرعون ، وكثير غيرهم . وقد ترجمت كتب بعضهم من الفرنسية الى اللغة العربية في مصر وفي الجزائر .

وهم مواطنون كأصلح ما يكون المواطنون ، ومنهم من يشغل الآن في الجزائر مكانة رسمية كبيرة ، لأنهم جاهدوا بأقلامهم عندما دعا داعي الجهاد في أثناء حرب التحرير . ولا يوجد من يتهمهم في وطنيتهم العربية .

وحدث أن نشر بعض الكتاب مختارات من أدبهم الناطق باللغة الفرنسية ، وأثار هذا الحادث العادى معركة أدبية ، وتحول الى حدث أدبي عظيم . واهتمت مجلة الثورة الافريقية بأخبار هذه المعركة كما اهتم بها الراديو الجزائري ، ووصلت أبعاد هذه المعركة الى بعض المجلات الباريسية .

وتدور المعركة حول جنسية هذا الادب ، هل يكون ادبا عربيا ام يكون أدبا فرنسيا ؟ أم يكون أدبا مهجنا ؟ وتدور المعركة أيضا حول مصير هذا الأدب ، هل هو أدب يجب أن يبقى بما يمكن ان يتوفر له من عناصر البقاء ؟ أم هو أدب لابد أن يزول بزوال الظروف التاريخية التي خلقته ؟

١ ـ يتمسك الادباء الناطقون بالفرنسية بأنهم عرب ، وبأن أدبهم عربي ، فيقول مالك بن حداد : « نحن نكتب بلغة فرنسية لابجنسية فرنسية » ، ويقول مراد بربون : ان اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصة للفرنسيين ، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة ، بل ان اية لغة انما تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الادبي ويعبر بها عن حقيقة ذاته القومية .

والمقياس الحقيقي عندهم للجنسية الادبية هو التعبير عن الذات الحقيقية بصرف النظر عن اللغة التي يصاغ فيها التعبير ، وبصرف النظر عن جنسية الاديب المسجلة في جواز السفر . واذن يكون كل من يعبر عن الذات المغربية مغربيا سواء أكان عربيا أم فرنسيا .

هذا هو المقياس الحقيقي في نظر مراد بربون . وهو في نظره المقياس العادل وينطبق هذا المقياس على بعض الكتاب الفرنسيين الذين عبروا عن الروح المغربية . فقد استطاع بعض الفرنسيين أن يعبروا عن الذات الجزائرية في اخلاص وفي كمال فني ، ومنهم من بلغت به الشجاعة أن يخرج على صفوف قومه وأن ينتمي الى الجزائر ضد قومه . مثال ذلك كاتب فرنسي هو «جول روا» في كتابه «حرب الجزائر» فانه كان من الفرنسيين الذين اعتبروا أنفسهم من أبناء الجزائر ، وتعرف هذه الطائفة في الاصطلاح الفرنسي الجاري باسم « الاقدام السوداء » ، وهذه الطائفة في معظمها طائفة فاشية تعتبر الجزائر جزائرية في صورتها الفرنسية ، غير أن منهم جماعة وقفوا في صف الجزائريين ضد بني جنسهم واثبتوا بذلك شجاعة أدبية جليلة وبرهنوا على أمانتهم ونبلهم ، ومنهم قائد من هيئة القواد هو جول روا

والأمثلة كثيرة ، ومن هذه الأمثلة جان بيلليجرى ، وكتابه «المهبول» هو فى نظر بربون من الكتب الجزائرية التى لا بد أن تحتل مركز الصدارة فى الأدب الجزائرى . وهؤلاء الكتاب ينتمون فى رأى بربون الى الارض المغربية ، ويرفعون لواءها ويتغذون من وحى ذاتها ، فهل يكون من حق أى أحد أن يوصد فى وجوههم باب الانتماء الى المغرب ؟

وحجة أخرى هى أن مقياس التعبير عن الذات المغربية هو المقياس العملى المنطبق على منطق الحياة فى واقعها اليومى ، وفى تصرفات الدولة ، فان الدولة الجزائرية منحت فى عيدها العاشر جائزة الادب الى فرانز فانون صاحب كتاب « المعذبون فى الارض » مع أنه غير مغربى ، ولكن الدولة قدرت تعبيره عن الذات الجزائرية ، واطلقت اسمه على أحد شوارع العاصمة . واستحسن الناس هذا الصنيع .

ونفس هذا المقياس هو الذى جعل جبهة التحرير الجزائرية تشيد بدور الادباء الجزائريين الناطقين بالفرنسية فى نشرة من نشراتها تحت عنوان « **كل الجزائريين** » .

بل عبرت الهيئات القومية العربية عن نفسها باللغة الفرنسية فى المجال السياسى ، فكانت مجلة « **نجمة افريقيا الشمالية** » تعبر عن حزب الشعب الجزائرى ، وكانت مجلة « **الجزائر الفتاة** » تعبر عن لسان جمعية العلماء ، ولنترك المجال للكاتب الجزائرى بربون يقول :

فى ضوء هذا الواقع وحده نستطيع أن نكتب تاريخ الادب الجزائرى ، ونستطيع أن نقول «ان فرعا جديدا نبت فى شجرة الادب الجزائرى على يد ادباء مثل الديب ، وحداد ، وقريا ، ومامرى ، وانه فرع ذو حيوية ، شرعى الوجود ، وليس ابن سفاح . وهو ليس صورة لجيل ينطوى وتنساه ، وهو ليس صورة لجيل يقوم بمرحلة انتقال ، وانما هو صورة لجيل ذى أصول ثابتة فى الارض ، ومن الطبيعى مع ذلك ان يعود التعريب الى هذا الشعب وأن تحيا اللغة التى أريد حرمان الشعب منها ، وأن يعاد نسج الحبل السرى » بضم السين المشددة « الذى يصل بينه وبين الثقافة العربية . والواقع أن العودة الى التراث القديم المفترى عليه عودة ضرورية ، ولكن هذه المهمة لا يمكن ان يكون من أهدافها اقتلاع الجذور الثابتة للغة الفرنسية . ... ومنطق الحياة يفسح المجال امام الازدواج . والتعريب نفسه هو الذى سوف يحل عقدة قبول اللغة الفرنسية بعد أن تتطهر من الاثم الازلى الذى اقترن بظهورها فى عهد الاستعمار ، والتعريب نفسه هو الذى سوف يكسر الاسوار التى يراد احاطة اللغة الفرنسية بها ، وسوف يكون المغرب مجالا لتعاون خصب بين هاتين اللغتين الثقافيتين العظيمتين « الفرنسية والعربية » » .

ولكن الادباء العرب (أو المغاربة كما يسمون انفسهم) الناطقون بالفرنسية يعيشون فى يوم كيوم الحشر ، وكتبهم بين ايديهم يباهون بها ، ويسمعون فى نفس الوقت أقسى الاتهامات ، فيقال لهم : « يا أصحاب الالهام الباريسى » ويقال لهم « يا أيها الذين ينتمون الى « ولاية سان جرمان دى بريه » » ، والاشارة الى حى فى باريس واقع بين السربون وبين مدرسة اللغات الشرقية ، وهو حى يجتمع فيه هواة الادب والادباء . ويرد الادباء الناطقون بالفرنسية على خصومهم ردودا بذيئة احيانا ، تهكمية احيانا أخرى . ويتندرون بالادباء العرب الناطقين باللغة العربية ، ويتندرون بحرصهم على الارتباط التقليدى « بالمملكة العربية السعودية » .

ويشبه الادباء الناطقون بالفرنسية ادبهم بالادب العربى الاندلسى بالنسبة لتاريخ اسبانيا ، ويقولون انه لا باس من قيام « **اندلس اخرى** » فى القرن العشرين ، ولا باس من أن ينتمى الى « **اندلس القرن العشرين** » العرب وغير العرب ماداموا يعبرون عن الذات القومية . اما أدباء العرب الناطقون باللغة العربية فانهم فى نظر خصومهم أهل تعصب للجنسية العربية لايكتفون بان يكون الاديب قادرا على الخلق الادبى المبتكر ، وعلى التعبير عن الذات القومية بل يشترطون أن يكون الاديب ناطقا باللغة العربية ، عربيا بربريا ثابتا فى منبت الوطن حاملا لجواز سفر عربى ، بل ينقص أن يشترطوا أيضا كما يقول بربون انه « لابد أن يكون الاديب العربى اقلف » .

وتدل مثل هذه التعبيرات على أن وراء المعركة دوامات كثيرة حادة . وسلاح الناطقين بالفرنسية هو أن الادب القومى الصميم هو الذى يعبر تعبيرا كاملا عن صميم الذات القومية بصرف النظر عن اللغة . وتسمى هذه المعركة معركة الادب القومى .

اما الادباء الناطقون باللغة العربية فان لهم منطقا آخر .

« د . محمد عبد الهادى شعيرة »

مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ١ -

في ميدان اللغة والثقافة

لقد استعربت مصر بعد الفتح استعرابا واسعا عميقا سريعا ، فكان لها في مجال القومية العربية شأن عظيم ، وهي اليوم ترفع لواء العروبة خفاقا ، وتتقدم به الركب جدارة واستحقاقا ، وتفتديه بالدماء والارواح .

وسأعرض في ايجاز بعض جهود مصر في حماية العروبة واعزازها، لا على أنها نوع من المن أو المباهاة او التهوين من جهود الأقاليم العربية الاخرى ، بل على أنها تدليل على بطلان ما زعمه أعداء العروبة من أن مصر ليس لها في خدمة العروبة سبق .

١ – فقد كانت مصر معقل اللغة العربية وآدابها في نكبات أربع :

الأولى حينما هب التتار من أواسط آسيا هبوب الجراد ، فقوضوا العرش العباسي ببغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) وأحرقوا دورها ، وخربوا عمرانها ، وأغرقوا كتبها .

والثانية حين سقطت آخر امارة عربية بالأندلس في أيدي الفرنج سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وخيروا العرب الباقين بين التنصر والرحيل ، ثم تجلى حقدهم الغاشم في التعفية على حضارة العرب وتدمير آثارهم. وفي هاتين النكبتين رزئت اللغة العربية وآدابها وعلومها باحراق المؤلفات ، وتعطيل المدارس ، وتشريد العلماء والأدباء .

فالى أين التجهوا ؟ وبمن اعتصموا ؟

لم يتجهوا الى التتار ، لأنهم جموع من الوثنيين الجهال ، ولم يستظلوا بالفرنجة لأنهم أعداء وطلاب ثأر ، ولم يلجأوا الى الفرس ، لأنهم في قبضة التتار ، ولم يقصدوا جزيرة العرب ، لأنها كانت حينئذ في سبات .

فلم يبق الا مصر والشام ، فتوافدوا عليهما ، حيث وجدوا من المماليك الذين حكموا من ١٢٥٠ الى ١٥١٧ م – ملاذهم الأمين ، ومثواهم الكريم ، ووجدوا البيئة المواتية للانتاج، فعكفوا على التدريس والتأليف ، وأثروا اللغة والأدب والثقافة بكثير من نفائس المؤلفات .

ولولا هذه الرعاية لفقدت العربية كثيرا من ذخائرها التي تعتز بها الى اليوم .

والثالثة حين ابتلى الوطن العربي بالغزو التركي في أول القرن السادس عشر ، وتبينت مخاطر هذا الغزو المشئوم منذ هجم السلطان سليم الاول على مصر سنة ١٥١٧ م ، وقضى بالقاهرة نحو ثمانية أشهر ، يخرب مساجدها وآثارها ، لينتزع منها كنوزها الفنية ونفائسها الخالدة ، ويبعث بها الى القسطنطينية .

ولم يكتف بذلك ، بل اعتدى على دور العلم ، فاستولى على أوقافها ، وجعل يجمع البارعين من العلماء والصناع ، ويرسلهم الى القسطنطينية في سفن حاشدة .

ثم لم يقنع بهذا كله ، فأمر بنقل الكتب التي في المساجد والمدارس والقصور الى عاصمة بلاده . وهذا هو السبب في أن كثيرا من نفائس المخطوطات ونوادرها ما زالت هنالك الى اليوم .

ولقد تمت المؤامرة على اللغة العربية بأن فرض العثمانيون لغتهم على أنها الرسمية في مصر وغيرها، وجعلوها لغة التعليم ، ولغة الاتصال بالحكام، ولغة التقاضي في المحاكم .

وكان الاتراك في الوقت نفسه يتعالون على العرب، ويحتقرون لغتهم ، ويقربون اليهم من تعلموا في تركيا أو يستطيعون التفاهم معهم بلغتهم . والذي حدث في مصر حدث نظيره في العراق والشام والحجاز وشمال افريقية ، فنشأ عن هذا كله ضعف

اللغة العربية وتوقفها عن التطور ، وتقهقر الأدب والثقافة ، وتسرب كثير من الكلمات التركية الى العامية العربية ، بل ان بعض المؤلفين كابن اياس لم تسلم لغتهم التاليفية من أدران التركية والعامية، ولذلك كان العصر العثمانى عصر ظلام طويل لم يخيم على العالم العربى مثله ، وعصر حكم استبدادى جائر عانى العرب كثيرا من ويلاته .

وانه ليستوقف النظر طويلا ، ويقتضى الاعجاب كثيرا أن اللغة العربية عاشت فى كفالة مصر هذه القرون الاربعة تقاوم فى عنف وثبات ، يحميها الأزهر ويرعاها أبناء مصر من شعراء وكتاب ومؤلفين ، حتى انجلت المحنة ، فخرجت الفصحى سليمة لم يمس جوهرها سوء أو تصدع، ثم استأنفت المسير لتعوض تخلفها عن الركب المسرع .

أما الرابعة فانها قريبة العهد ، اذ كادت المأساة تتكرر حينما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣١ واحتلت تونس سنة ١٨٨١ ، واحتلت انجلترا مصر سنة ١٨٨٢ ، واستولت ايطاليا على طرابلس سنة ١٩١١ ، ثم تقاسمت انجلترا وفرنسا الغنيمة بعد الحرب العالمية الأولى فاستولت فرنسا على سورية ولبنان ، واختصت انجلترا بالعراق وفلسطين وشرقى الأردن .

وحاول هؤلاء المستعمرون ان يوطدوا حكمهم ، فبذلوا جهودا كثيرة متنوعة لنشر لغاتهم ، على أمل أن تحل محل اللغة العربية ، فيتقوض حصن من حصون العروبة ، ويسهل اندماج اهليها بالمستعمرين .

جاء فى توجيه فرنسى صدر فى أوائل أيام احتلال فرنسا للجزائر : « ان الجزائر لن تصبح فرنسية حقيقة الا عندما تصير لغتنا هناك قومية ، والعمل الجبار الذى يجب علينا انجازه هو السعى لنشر لغتنا الفرنسية الى أن تقوم مقام اللغة العربية التى يتكلمون بها الآن » .

وجاء فى تقرير رسمى سنة ١٨٤٩ « لا ننسى أن لغتنا هى اللغة الحاكمة ، واهم الأمور التى يجب أن نعتنى بها قبل كل شىء هو السعى لجعل اللغة الفرنسية عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم الينا ، واقتدائهم بنا ، وادماجهم فينا وجعلهم فرنسيين » .

ولهذا انتهجت فرنسا كل الوسائل لفرنسة الشعب العربى فى تونس وفى الجزائر وفى مراكش فجعلت التعليم بالفرنسية وحدها فى الجزائر ، ولم تكن اللغة العربية تعلم الا فى المدارس العربية ، على حين انها بذلت جهودها لتعليم اللغة البربرية فى كل المناطق ، وجعلها لغة أدبية . وجعلت التعليم بالفرنسية فى تونس ، على أن تكون العربية اختيارية يتعلمها من يشاء فى غير أوقات الدراسة المقررة ، ولم توافق على ادخال اللغة العربية فى الدروس الاجبارية الا فى فى أواخر العقد الرابع من القرن العشرين . وطبقت فى مراكش سياستها فى الجزائر وتونس .

وكذلك فعلت انجلترا فى مصر ، اذ فرضت اللغة الانجليزية لغة التعليم فى المدارس منذ المرحلة الأولى ، ماعدا دروس اللغة العربية ، حتى بدا التعريب سنة ١٩٠٨ .

وكانت سياسة انجلترا قائمة على اضطهاد اللغة العربية وأساتذتها والقائمين على شئونها والمنتسبين اليها .

وحسبى أن أشير الى فقرة تضمنها تقرير سرى من تقارير دنلوب الذى كان مستشارا لوزارة المعارف من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٩ ، وكان يقدمها الى المعتمد البريطانى ، وقد اطلع على نسخة من هذا التقرير مصادفة أستاذنا الدكتور مهدى علام ، فهالته فقرة منه ، فحفظ نصها الانجليزى حفظا ، وما زال يرددها ولعله يترجمها وينشرها بالرسالة الغراء ، ليتبين القراء ما كان يبيته المستعمر لقوميتهم وللغتهم وأدبهم من كيد مدمر . أما مضمون الفقرة التى أعنيها فهو أن الانجليز لا بقاء لهم فى مصر ما دامت اللغة العربية الفصحى حية . ولا سبيل الى القضاء عليها الا بالقضاء على الازهر ودار العلوم .

ثم يقول التقرير ان أبناء دار العلوم يمثلون الثقافة القديمة والحديثة ، ويقومون بالتدريس فى المدارس ، ويستميلون الشعب ، وهم لهذا أشد خطرا على الحكم البريطانى ، فلنبدأ بهدم دار العلوم ثم نعقبها بالأزهر .

وليس أدل على أن الاستعمار كان يريد محو اللغة العربية من خططه التى رسمها ونفذها فى ميادين التعليم ، ومن زعمه أن الفصحى عاجزة عن مسايرة الحضارة ومواكبة العلوم ، ومن دعواه أنها السبب فى تخلف اهلها ، فيجب أن تندثر كما اندثرت السريانية واللاتينية والاغريقية .

ففى سنة ١٨٩٣ زعم (ويليام ولكوكس) فى خطبة القاها بنادى الازبكية أن المصريين عاجزون عن الاختراع ، لأن اللغة العربية الفصحى تعوقهم عنه ،

ونصحهم باصطناع العامية أداة للتعبير الأدبي . واستشهد بالانجليز قائلا انهم استفادوا فائدة كبيرة منذ هجروا اللاتينية التي كانت لغة الادب والعلم فترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٠١ ألف مستر (ويلمور) أحد القضاة في مصر كتابا ، أشار فيه على المصريين بهجر اللغة الفصحى والاعتماد على العامية في أدبهم .

ثم اراد المستعمرون أن يزيدوا الخناق ضيقا ، وأن يلبسوا دعواهم كساء خداعا ، فظهرت في مصر دعوة الى الفرعونية ، وراء ستار من تمجيد الماضي واحياء آثاره وبعث أدبه ، ودعا أصحاب هذا الزعم الى هجر اللغة العربية الفصحى ، والاعتماد على العامية في الأدب والتأليف والتعليم والصحافة والدواوين الحكومية .

وفي الوقت نفسه روج الفرنسيون للفينيقية في لبنان ، زاعمين أن سكانه من أصل فينيقي لا من أرومة عربية ، وأن القومية العربية فكرة اسلامية غايتها أن يتسلط المسلمون على المسيحيين . وانه ليثير الأسى والعجب معا أن بعض العرب انخدعوا ، فاستجابوا لهذه الدعوة الهادمة وروجوا لها .

٢ ـ واذا كانت مصر قد حمت اللغة الفصحى من النكبات الثلاث ، فانها قد احتضنتها في الرابعة ، لانها لم تستسلم ، بل كانت في سطوة الاحتلال البريطاني تعلم اللغة العربية وتدرس العلوم بها في الأزهر وفي المدارس الأهلية التي أنشأتها الجماعات والهيئات ، وحاولت أن يكون التعليم كله بالعربية في سنة ١٨٩٣ فعوق الاحتلال محاولتها ، ولكنها استطاعت أن تقهره منذ سنة ١٩٠٨ ، فصارت لغة التعليم هي العربية في المدارس كلها .

وكان أدباء مصر وعلماؤها وصحافتها ومصلحوها لا يفتأون يجهرون بالدعوة الى الفصحى ، ويبصرون العرب بالخطر الداهم الرابض لهم وراء دعاوى المستعمرين وأكاذيبهم .

ومن الانصاف أن أنوه في هذا المقام بأن **شوقي** أيأس الترك من محاولتهم الاستعاضة عن اللغة العربية باللغة التركية ، ونصح لهم أن يبادروا فيتعلموا العربية ، لتكون لغة ثانية لهم ، فقال سنة ١٠٩١ .

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم
والضاد فينا بشمل غير ملتئم
فقربوا بيننا فيها وبينكم
فانها أوثق الأسباب والذمم

وقال :

ان الذى ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

كذلك دافع **حافظ ابراهيم** عن الفصحى سنة ١٩٠٣ ، ففند دعاوى الاحتلال ، ودلل على ثراء الفصحى وحيويتها ، وسخر من العامية وضيقها ، كقوله على لسان الفصحى :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
انا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى ؟
أيهجرنى قومى عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل برواة ؟
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعى في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات

ولم يكن شوقي وحافظ وحدهما في الميدان ،بل كان في مصر كثير من الذادة عن الفصحى مثل **الرافعي والجارم وعبد المطلب ومحمد المويلحي وعلى يوسف ومحمد عبده ومصطفى كامل وأحمد السكندرى وحفنى ناصف** على أن جهود مصر متصلة متلاحقة في مجالات شتى ، كمؤلفات أبنائها ، وترحيبها بالوافدين اليها من أدباء فارين من الاضطهاد أو طلاب عطاش الى المعرفة ، ونشاط جامعاتها وأزهرها ومدارسها وصحافتها واذاعتها ، وانتاج شعرائها وكتابها وخطبائها وعلمائها ومجمعها اللغوى . وما يبذله أبناؤها الذين تعيرهم الاقطار العربية من جهد في تعليم اللغة وآدابها وتدريس العلوم بها .

وبهذا وبكثير من أمثاله نهضت مصر بأعمال جليلة في الحفاظ على اللغة العربية وترقيتها ، ونشر آدابها وعلومها ، بعد أن حمتها من غوائل النكبات والأحداث .

وان مصر لتوقن أنها اذ نهضت بما نهضت به ، واذ تقوم اليوم بما تقوم به ، انما تؤدى واجبها ، وتحمي عروبتها ، وترد عن العرب سهام الاستعمار، وتصون اللغة العربية من عوامل الدمار ، في غير مباهاة أو من أو ترقب لشكران ، فان اللغة من أمجاد الأمة العربية ، ومن يصن مجد قومه صان عرضا .

« د . أحمد محمد الحوفي »

فن المعمار الأندلسى

ومظاهره فى أمريكا اللاتينية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

بعض مظـــاهر التأثيرات الاندلسية المعمارية فى امريكا اللاتينية أصابهـا شىء من حظ فاحتلت من كتب تاريخ الفن مكانا متواضـعا ، يعرض لهـا الدارسـون حين يتحدثون عن كنيسة « ســان فرانسيسكو » فى المكسـيك ، أو كنيسة « سانتو دومينجو » فى هافانا عاصـمة كوبا ، واخريات فى «كيتو» عاصمة الاكوادور ، و « سانتياجو » عاصمة شيلى ، وكلها ذات طابع اندلسى فى معمارها ٠ ولم تكن هذه وحدها هى التى تحمل مظاهر هذا التأثير، انما كان الفن المعمارى الاندلسى هو الغالب هناك ، عصر الغزو الاســبانى وما بعده حتى مطلع القرن العشرين ، على كل المبانى ذات الطابع الرسمى او الدينى ، لكن عوامـــل المد والجزر فى بلاد لا تكاد ارضهـــا تستقر ، وتتعرض باستمرار لغزير من الامطـــار ، وعنيف من الزلازل عفت على أغلب هذه المبانى ، بعد أن احتواها التاريخ ، رسما لفنان ، أو دراسة فى كتاب ، أو وصفا لرحالة ! ٠

لكن هذا التسجيل فى مختلف صوره لم يتناول غير القليل ، لأن طبيعة الأرض ، واضطراب الأمن ، وانعدام المواصلات ، جعل كثيرا من هذه المبـــانى الاندلسية بمعزل عن قلم المؤرخ وريشة الفنان ، فلم يعرض لها أحد دارسا أو واصفا ٠ والفن المعمارى العربى الذى يغلب على هذه المبانى هو فن المدجنين ، وهو اصطلاح يطلق فى تاريخ الاندلس على المسلمين الذين استقروا فى الممالك المسيحية ، محتفظين بلغتهم ودينهم وعاداتهم ، وكونـــوا جالية كانت ذات أثر واضح فى الحياة الاقتصادية والثقافية لممالك الشمال المسيحية ، وقد بدأت متأخرة ، فى القرن الحـادى عشر الميلادى ، أما قبل ذلك فقد كان المسيحيون فى البدء يستأصلون شـــأفة كل من يلقون من المسلمين فى الاراضى التى يحتلونها ، وفى مرحلة تالية كانوا يبقون عليهم رقيقا بلا حقوق، يخدمونهم فى مزارعهم، أو يبيعونهم فى الاســواق ، وكان الدافع الى ذلك ضرورات اقتصادية خالصة ، لان الممالك المسيحية



مئذنة مسجد متواضع هى الآن برج لكنيسة فى «كالى» مقاطعة فى كولومبيا بامريكا اللاتينية »

الصغيرة التى قامت في شمال الاندلس كانت فقيرة فى الخبرات والكفاءات ، وفي حاجة ماسة الى مهارة المسلمين في الزراعة والتجـارة والحرف ، وكانوا يعملون فى ظروف لا يحسدون عليها ، ويهربون متى اتيـحت لهم الفرصة ، أو يتحررون اذا ما أقبل اشقاؤهم فى الجنوب منتصرين ، أو يفتدون انفسهم بالاموال فى احوال قليلة • فلما استولى الفونسو السادس على طليطلة ، عمل بنصيحة مستشـاريه الاقتصاديين فأغرى المسلمين بالبقاء فى مملكته ، على أن يحتفظوا بدينهم ولغتهم وعاداتهم ومسـاجدهم وثرواتهم ، بل سـهل لهم القروض كي يواصلوا زراعتهم ، مسـتهدفا انعاش مملكته اقتصاديا ، وحمايتها من التردي والافلاس ، فقد كان المسلمون المغلوبون أرقى حضـاريا وثقـافيا من المسيحيين المنتصرين ، وهو تسامح لم يقدر له أن يدوم طويلا فقد ذهب بجـلاله وآثاره تعصب رجال الدين من الكاثوليك • هؤلاء المدجنون كان لهم فن معمـارى خاص بهم ، له سـماته الواضحة المميزة له عن فن الخلافة ، أو فن ملوك الطوائف ، أو فن بنى الاحمر فى غرناطة ، وقد شـهروا به وظلوا ينشرونه حتى بعـد أن اكرهوا على التخلى عن دينهـم وعاداتهم وتقـاليدهم ، واستجابوا للضغط العنيف ظاهريا ، وكان أوضح ما فى هـذا الفن حرصهم الشديد وهم يبنون كنائس المسيحيين المتصرين أن يشيدوا برج الكنيسة على هيئة **مئذنة** ، لا يميزه عنها غير جرس يتوسطه ، أو صليب يعـلوه ، أما من بعيد فيبدو للقادم عليه أنه يوشك أن يواجه مسجدا •

رأيت ذلك واضحا فى دير للرهبان الفرنسيسكان يقع فى الحى القديم من مدينة كالى ، احدى مقاطعات جمهـورية كولومبيا ، واكثرها غنى وثروة ، وقـد استرعت «**مئذنة**» الدير انتباهي للمرة الاولى ، ولو انني فى الحقيقة ذهبت الى المدينة بحثا عنها ، فقد قرأت وصفا لها ، ربمـا كان هو الوحيد ، لرحالة فرنسي زار المدينة عام ١٨٧٦ ، وقال فيها : « انها أجمل قطع الفن المعمارية فى كولومبيا كلها » •

وكما يحدث دائما فى عمل كهذا لايعرف له تاريخ مكتوب ، ولا توجد عنه وثائق توضح نشأته ، تأتى الاسطورة الشعبية فتمـلأ هذا الفراغ ، وهى رواية يرفضهـا المتعصـبون ضـد العرب من المؤرخين الامريكيين والاسبان ، يرفضونها ولا يقدمون عنهـا بديلا ، لمجرد أنها تقرر فى صراحة أن الفنان الذى أشرف على بنائها كان عربيا ، وتحدد الاسطورة العام الذى بنى فيه الدير ، وانه عام ١٧٥٧ ، وتتحدث عن حمـاس جيرانه وهم يسهمون فى بنائه . يحملون الاحجار والصخور على رءوسهم وأكتافهم حتى انتهى منه البناء عـام ١٧٦٤ ، ولو أن من الواضـح أن « **المئذنة** » بنيت فى أعوام تالية ، بعد أن كمل بنـاء الدير ، قريبا من عام ١٧٧٣ ، لأنها بناء قائم بذاته، مربع الشكل ، مبنى بالطوب الاحمر ، على نحـو زخرفى جميـل ، بنفس الطريقة التى درج المدجنون على استخدامها ، فاللبنات فيه تتلاقى وتتقـاطع وتتباين أو تتراجع على نحو يجعل منها رسوما بارزة تبدو من بعيد وكأنها سـجادة فى قصر الخـلافة القرطبى ، دقيقة النسج ، محكمة الصنع •

حاول كثير من المؤرخين الاوربيين والامريكيين أن يربطوا بين بناء هذه «المئذنة» الفريدة وبين مهندسين قدموا الى كولومبيا من اسبانيا ، فى تلك الاعوام ، او قبلهـا أو بعدها ، مهندسين تتبـاين أسماؤهم وتختلف الرواية فى تحـديد تواريخ رحـلاتهم ، يحاولون أن ينسبوا اليهم هذا العمل استنتاجا ، أو ينتزعوا فضلها من «**عربى**» لم يحفظ له التاريخ حتى اسما ، شأن مئات الألوف من الأندلسـيين الذين ضاعوا فى مجاهل التاريخ ، لم يذكرهم قلم ولـم تبكهم عين ، مهندسين يصنعون الرخاء ، أو مثقفين يلاحقون الجهل ويجتثون ظلمة الفكر ، ذهبوا الى رحاب الله شهداء ، مختنقين فى الكهوف المظلمة ، أو محروقين على لهب النار المشتعلة ، وان كان العامة

فى مدينة كالى ، وباذنى سمعتها ، يطلقون على المهندس الذى أقام « المئذنة » اللقب الذى درجت الاندلس على أن تعطيه فى عهدها العربى لكبار المهندسين المعماريين ، وهو لقب « العريف » ، وقد انتقل اللفظ الى اللغة الاسبانية نفسها ، بنفس المعنى والحروف دون تحوير أو تبديل ، والشاهد المادي يؤكد أن مخطط « المئذنة » ان لم يكن عربى الجنس ، فهو عربى الثقافة ، وفى هذا الفن تخصص، وفى جوه عاش وتغذى .

حجة الذين يرفضون فكرة اشراف مهندس عربى على بناء هذه «المئذنة» ومآذن أخرى كثيرة ، تصديقا للرواية الشعبية ، تقوم على أساس أن القانون الخاص بامريكا اللاتينية، والمعروف بقانون «الجزر الهندية»، الذى أصدره الملكان الكاثوليكيان ينص فى الكتاب الثامن والعشرين منه ، فى الفصل الثامن ، المادة الخامسة على ما يلي : « يمنع منعا باتا من الهجرة الى امريكا اللاتينية العرب أو البربر ، حتى ولو كانوا قد اعتنقوا الكاثوليكية » ، لكن من الثابت تاريخيا أن مثل هذه القوانين كانت نظرية الى حد بعيد ، وأنها على الصعيد العملى عند التنفيذ كانت تأخذشكلا آخر ، ومن الثابت أن مئات من المسلمين المتكثلكين قد عبروا المحيط كجنود وربابنة وقليين ومهندسين خلال الغزو الاسباني لأمريكا ، وانهم حملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم ، وان أصحاب الحرف منهم احتلوا عن طريقها مكانا مرموقا فى مجتمع العالم الجديد ، وهى ظاهرة ليست وحيدة ، فقانون طرد العرب من اسبانيا الذى اصدره فيليب الثالث عام ١٦١٣ لم يمتد عمليا الى العرب الذين كانوا يعملون كمهندسين زراعيين أو معماريين فى ضياع كبار الاقطاعيين .

ومن المقرر ايضا أن أغنياء الاسبان وحكامهم فى امريكا اللاتينية كانوا يحاولون أن يصنعوا لهم بيئة تشبه ما خلفوه وراءهم فى الاندلس الجميلة ، فنقلوا معهم مهرة الصناع ، واستقدموا من الوطن الأم خيرة المهندسين المعماريين ليشيدوا لهم بيوتا على نمط بيوتهم فى قرطبة واشبيلية ومالقة ومرسية وغرناطة وغيرها بل كانوا يجلبون من هناك المواد الأولية لمساكنهم من آجر وقيشانى وبللور .

وليست « مئذنة » هذا الدير هى الوحيدة التى تمثل الفن الاندلسى فى المقاطعة ، وان كانت أكثرها جمالا واصدقها تمثيلا ، ففى عدد من القرى ، على بعد قريب من مدينة «كالى» ، توجد كنائس لها « مآذن » بديعة الصنع مما يجعل الدارسين المحدثين يعتقدون ان المنطقة كانت مسرحا لحركة نشطة دائبة من مهاجرى الاندلس الذين تركت الحضارة العربية آثارها واضحة فى حياتهم وتكوينهم الثقافى ، خلال القرون الثلاثة التى تلت سقوط دولة الاسلام رسميا فى غرناطة عام ١٤٩٢ .

يقول دييجو انجولو أحد مؤرخى تاريخ الفن الاسبانى المشهورين : « من المسلم به على امتداد القرون التى تصرمت منذ الفتح، ان الذين بنوا مذبح كنيسة «شولولا» الملكية فى المكسيك كان فى ذاكرتهم وهم يصنعون ذلك جمال ابهاء المساجد الرائعة ، وربما كان هذا المذبح هو الاستثناء الوحيد الذى يجرى على غير فن المدجنين ، أما البقية فكلها تطبيق لهذه المدرسة ، ومرد ذلك أن آخر ما يبقى فى ذاكرة المهاجر من اسبانيا الى العالم الجديد ، وهو يصعد الى الباخرة فى نهر الوادى الكبير لتنقله عبر المحيط ، مئذنة مسجد اشبيلية الخالدة **الخيرالدا** بعد أن أزيل المسجد، وبقيت هى الى جانب الكنيسة تحديا صارخا لعدوان غير حضرى ، فلايزال يتأملها حتى يغيب عنها بعيدا ، تتلاشى أمام ناظره رويدا رويدا ، وتستقر فى ذاكرته الى الابد !

« د. الطاهر أحمد مكي »

نظرات في تراثنا

البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد

بقلم إبراهيم الأبياري

لن تستقيم لأمة حياتها بمظاهرها المختلفة ، علما وفنا وأدبا ، الا اذا كانت هذه الحياة على صلة بماضيها تأخذ من هذا الماضي وتسدى اليه ، تتجدد بتجدده وتساير تدرجه ، يغاير حاضرها ماضيها ، كما يغاير مستقبلها حاضرها ، ولكنه على هذا كله صورة صادقة للأمة يحكي مالها ويكون صدى لما يصدر عنها، تحس فيه وجودها ، وتعده قطعة منها فتحمى له وتذود عنه ذيادها عن أرضها ، وترى أن التفريط فيه تفريط في ركن من الاركان التي يقوم عليها كيانها ، الذي في ظله يعيش طابعها المتميز .

وهذا اللون من الحياة المستقيمة تحس فيه المشاركة التامة بين مظاهره المختلفة من علم وفن وأدب ، وان ثمة صلة وقربى بين هذه المظاهر ، فهي كلها ترجع الى أصل واحد ، ثم هي في نموها يظلها وعي مشترك ، فتمضي يعين هذا المظهر ذاك وذاك هذا ، لا تخلف لمظهر عن الآخر ، ولا قطيعة بين مظهر ومظهر ، بل ترى هذه المظاهر كلها يدفع بعضها بعضا ، لا تخلف للغة ولا تخلف لفن ولا تخلف لعلم .

ونحن اذ نشكو اليوم هذه البلبلة اللسانية التي منيت بها اللغة ، وهذه البلبلة الفنية التي مني بها الفن وذلك القصور العلمي الذي مني به العلم ، فمرد هذا كله الى تلك القطيعة التي نحسها بين مظاهر حياتنا ، تلك القطيعة التي مردها الى جمودنا عن وصل مظاهر حياتنا بالماضي ، وتركنا اياها يضرب كل مظهر في سبيل . وأخشى ما أخشاه ان امتد بنا الزمن على تلك الحال أن نجد أنفسنا وقد تنازعتنا مظاهر مختلفة تخرج بنا الى غير مظهر جامع الذي هو الصفة الاولى للأمة .

ولو أنه قدر لنا أن تبقى حياتنا بمظاهرها كلها متصلة بالماضي لضمنا في ميدان اللغة تنشئة الطبيب والمهندس والموسيقي والفلكي والرياضي على صلة بلغتهم يأخذون منها ويعطون بدلا من وقوفهم منها جميعا جامدين . وما نعرف لغة تحيا على السنة الأدباء واللغويين وحدهم ، ولكن حياتها ونموها واطرادها بكثرة المتصلين بها وتنوعهم وتمثيلهم لشئون الحياة كلها . وغناء اللغة كسب أي كسب ، اذ هي الاطار الذي تبرز فيه مظاهر الأمة جميعها .

ولو أنه قدر لنا أن تبقى حياتنا الفنية متصلة بالماضي لضمنا لنا طابعا متميزا ، له من الماضي روحه وله من زاد الأيام في تواليها بنيته . وأنت تعرف ما تجنيه الأمم ذات الطابع المتميز من كسب مادي وأدبي .

وقل مثل هذا عن أي مظهر من المظاهر المختلفة للأمة ، فهي كلما كانت لها أصالة كانت دعامات حقة للنهضات والخلود .

وما أولانا في معاهدنا أن تطالع الأبناء بصفحات الآباء ، لا تعفي من ذلك مرحلة من مراحل التعليم بل تكون لكل مرحلة ماتطيقه ، حتى اذا ما أدركنا الجامعات كان لكل فرع ما يخصه من هذا الماضي ،

يعرفه في تفصيل أو ايجاز ، كي نضمن هذه الصلة الوثيقة بتراثنا ، وكي نضمن هذا الترابط الذي ننشده بين مظاهر حياتنا المختلفة ، وكي نضمن هذا التعاون بين هذه المظاهر ، ثم لكي نضمن هذا الطابع المميز لنا ٠

جدير بجامعاتنا أن تلتفت الى الوراء شيئا ولا سيما في الميدان العلمي والفني ، فلا يقبل الطالب على نتاج الحاضر الا اذا ألم بنتاج السابقين من أسلافه ، في الزراعة والهندسة والرياضة والفلك والموسيقى والطب ، وكم لنا في هذا كله من رجال ، وكم لنا في هذه الميادين كلها من آثار

جدير بجامعاتنا أن تفعل ، لهذا الذي أشرت اليه ولشيء آخر هو الوفاء للعلم والعلماء ، وما أظننا في الوفاء لهـذا وذاك دون جامعات أوربة التي أفردت بعضها كرسيا للبيروني

ولعلك أدركت الآن لماذا جعلت **البيروني** موضوع هذا الحديث ٠

وما أحب أن أعرض عليك الكثير من حياة هذا العالم الكبير ، ولكن حسبي أن اعرض عليك من هذه الحياة الجانب العلمي الذي جعل الغربيين يسبقون الى تقديره

يقول عنه سخاو المستشرق الألماني : انه أعظم عقلية عرفها التاريخ ٠

ويقول عنه سارتون :كان البيروني باحثافيلسوفا رياضيا جغرافيا ٠ ومن أصحاب الثقافة الواسعة ، بل من أعظم عظماء الاسلام ومن أكابر علماء العالم فانظر معي بما استحق البيروني هذا التقدير ٠

يقول ياقوت ـ وهو يترجم له في كتابه ارشاد الأريب ـ واما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ٠ رايت فهرستها لي وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز ٠

فانت بين يدي عالم من أسلافك شغل حياته كلها التي امتدت نحوا من ثمانين عاما فترك هذه المجموعة الكبيرة من تواليف تعتز بها المكتبة العربية ٠

فلقد ألف البيروني في الهندسة وألف في الطبيعة وألف في الفلك وفي التنجيم ، هذا الى كتب أخرى في التاريخ والأدب ، وترك لنا في مؤلفات نظريات رياضية وفلكية وهندسية لا تزال دراسة الدارسين ٠

والذي يعنيني أن تعرفه من مؤلفات هذا الرجل العظيم :

١ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وهو في تواريخ الأمم ٠ وقد عني باخراجه المستشرق الألماني سخاو سنة ١٨٧٨ م ٠

٢ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، وهو من أهم المراجع في هذا الباب ٠ وقد عني باخراجه أيضا سخاو سنة ١٨٨٧ م ٠

٣ ـ الجماهر في معرفة الجواهر ٠ وعنوانه يدل عليه ٠ وقد طبع هذا الكتاب في حيدر أباد سنة ١٩٣٤

هذا ماطبع للبيروني فيما تعلم ، ولكنه لايزال له الكثير مما لم يطبع ٠ منه :

١ ـ التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، وهو في الهندسة والفلك والرياضة

٢ ـ القانون المسعودي ، وهو في الهيئة والنجوم ٠

فهل ينهضنا الوفاء للعلم أولا فنخرج هذين المؤلفين الى النور ، ثم هل ينهضنا الوفاء لهذا العالم ثانيا فنخصه بكرسي في جامعة من جامعاتنا ، على أن يكون هذا بدءا لكراسي أخرى لأمثال ابن سينا والخوارزمي والكرخي وابن الهيثم وغيرهم ، وما أكثرهم ٠

« **ابراهيم الأبياري** »

أين الشاعر الموهوب ؟

للدكتور : عبد الرحمن عثمان

(٣)

لست أجد ما اعتذر به للقراء الذين اعتادوا فيما يقرءون أن تتخطى أبصارهم وأفهامهم المقدمات لترى وتفهم نتائجها حتى تفرغ الى ما يشغلها من شئون الحياة ، وتنصرف الى ما يستحثها في مضطرب العيش ، فانا لا أكتب لهؤلاء المعجلين ثقة بأنهم يحتاجون في ظروفهم الثقافية او الاجتماعية الى نوع من الادب فيه بساطة الدعابات التي يكتبها اصحابها على عجل لتحدث أثرها السريع في اثارة الضحك والترفيه عن نفوس لها طابع يميزها عن غيرها ، لانها تؤثر في المجال الثقافي صنفا خفيفا من الادب لايشق عليها باعمال الفكر والتأمل في لب الموضوع .

ولست انكر أن هذا ضرب منضروب الأدب يحذقه بعض الكتاب ، ويستريح اليه كثير ممن أعجلتهم شئون الحياة عن اطالة الوقوف والتأمل .

وهذه اللهفة في انتظار الجواب عما تساءلنا عنه من أمر الشاعر المعاصر الموهوب ، لايمكن أن تعترض خطواتنا في بحثنا هذا ، لانه بحث يحتاج الى عناء شديد من الكاتب ، وصبر غير قليل من القارىء ، ويحتاج كذلك الى فضل تثبت من سلامة المقدمات ، وصحة البواعث ، بحيث تشير هذه وتلك الى النتائج التي لا يرقى اليها الشك .

وهكذا كان يدور حديثنا في المقالين السابقين عن الاسباب التي من شأنها أن تقدم لعصرنا هذا شاعره المنتظر ، فقد حصرناها في ثلاثة أشياء : الموهبة ، والثقافة ، والانفعال الشعوري ، ثم تساءلنا في ختام المقال الثاني : عما نلمسه من هذه الاصول الثلاثة في عصرنا الحاضر .

فاما الموهبة الشعرية ، فهي على خفائها ، وتأبيها على المنطق ، واستعلائها على الحجة التي تفصح عن حقيقة أمرها ، موجودة في كل عصر ، ومتجددة تجدد الأجيال والأزمنة ، لانها من الامور التي تولد مع أولئك الذين تختارهم الحياة بقانونها الذكي لفهم أسرار الكون فهما هو أشبه مايكون بالتلقي والالهام ، فالهمس الخافت يتحول في النفس الموهوبة الى جهر وافصاح بالاشارة ، والخطرة التي قد لا تعني شيئا عند الكثيرين ، تتخلق منها في وجدان الموهوب أمور تعني الكثير ، وتفسر الغامض مما احتجب من أسرار النفس والحياة ، تلك الاسرار التي لا يستطاع حصرها ، أو فض اقفالها .

فالموهبة الفنية لا تتقيد بعصر أو جيل ، ولا يمكن أن يطمس معالمها في النفس أي أثر يستمد قوته وسلطانه من البيئة على أوسع ما نعرف للبيئة من قوة وسلطان ، لان الموهبة لصيقة بالفطرة ، وهي بهذا الاعتبار جزء من النفس الموهوبة لا يسهل اقتطاعه أو اخماد ضوئه ، وكل ما للبيئة من سلطان في هذا المجال ، هو أن تباشر عملها الطبيعي في امدادها بالغذاء الذي تنشط به لاداء مهمتها على أكمل وجه ، أو تركها تتغذى من ذات نفسها حتى تضمر وتنطوي، ولكنها ـ مع ذلك ـ لن تتلاشى ، أو تموت، فحياتها رهن بذهاب النفس ، وبقاء الكل يستدعي بقاء اجزائه التي يقوم بها ويحيا بسببها .

وفي عصرنا الحاضر ـ والحمد لله ـ مواهب شتى، وموهوبون كثيرون ، والشعراء بيننا ـ والحمد لله أيضا ـ يكاد يخطئهم الحصر ، ولا يحصيهم حساب الحاسبين ، ولي من بينهم زملاء فضلاء ، وأصدقاء اعزاء ، ولكن ما أكاد أقرأ لبعضهم قصيدة مطربة حتى يستبد بي القلق والانتظار الطويل ترقبا لأخرى تأتي بعد شهور أو أعوام ، وفي كل مرة كنت كمن يشعر أنه يظفر «ببيضة الديك» التي لا تتكرر ، حتى زعمت لنفسي أن المواهب الشعرية تصاب في بعض العصور

بامراض تذبلها وتبدد أوراقها الجميلة هنا وهناك ، حتى كأنها الاشجار والزرع يصاب بما يصاب به من آفات وأمراض ، ومن ثم احتبست المواهب ، وعجزت الشاعرية المعاصرة عن التدفق والانطلاق .

واذا كانت العبقرية الشعرية متاحة لشعرائنا المعاصرين ، فان وجودها دون صقلها بثقافة العصر ، وتفهمها لروحه وأهدافه ، لا يبشر اطلاقا بقرب ظهور شاعرنا الذى ننتظره ، وسوف يتراءى لنا نتاجها الشعرى اشعاعات تلمع فى فترات متباعدة ، حتى كأنها الومضات الخافقة التى يلفظها سراج كاد يجف زيته لينطفىء الى الأبد .

ان ما نقرؤه فى شعر المعاصرين لا يحمل الروح الذى نعرفه للشعر ، فنحن نريد تلك الموهبة المشبوبة ، والخاطر الصئول الذى يحرك النفوس بالقوة ، ويغمرها بالنشوة الحلوة الغلابة ، ونحن نريد أن نتبين ذلك الهاتف الشجى الذى يعبر بنا من شاطىء الحقائق العابسة الى الشاطىء الذى تهوم فيه الأمانى ، وتتعابث على رماله المبسوطة احلام الحياة الجميلة ، نحن نريد هذا ، ونريد أن نلتقى بالشاعر الذى تجتمع نفوسنا الى نفسه ، وتهتف خواطرنا فى خاطره ، ليغنى لنا بالامل والحب وأفراح الحياة، وليعلمنا كيف نغالب اليأس، ونقتلع الاحقاد ، ونسمو على الالم ، نريد كل الحانه معربدة فى أعماقنا ، مستثيرة لما فينا من رضا وغضب ، وحب وكره ، ويأس ورجاء ، وذلك ما نراه من فضيلة للشعر ، ويقينى أنها ستظل هكذا باقية ما بقى شعر له سحر على القلوب ، وتسلط على النفوس .

فهل نجد هذا الاثر ونحن نقرأ شعرنا المعاصر؟ ، والجواب الذى ربما ترفضه طائفة من الناس ، هو : أننا لا نجد مثل هذا الشعر على صورة متجددة ، وفى عذوبة آسرة متلاحقة ، وعلى من يرفض هذا الجواب أن يضرب لنا المثل ليبطل ما ذهبنا اليه ، فان ذلك من خالص حقه لو استطاع .

***

وأما ثقافة العصر التى يتم بها نضج الموهبة الشعرية وصقلها فان أحدا لا يجازف بالقول بأنها متخلفة أو ناضبة المعين فى عصرنا هذا ، فوسائل التبادل الفكرى: تقدمها ميسرة لكل من يريد القراءة، وحتى أولئك الذين لا يحسنون من اللغات الاجنبية شيئا يستطيعون أن يصيبوا منها حاجتهم ، اذ الترجمة تهيىء لهم ما يستريحون الى قراءته ، وما قد لا يستريحون ، ووسائل الاعلام فى الوطن العربى أخذت على عاتقها بعث القديم ، وتقديم الجديد من تراث الانسانية ونتاج أفكارها وعواطفها ، فليس هناك مجال للقول بأن ما يعوق ظهور الشاعر المعاصر هو ضمور الثقافة ، وضيق ميدانها ، وبهذا البيان العجول يتأكد فى موضوعنا أصلان من أصول ثلاثة نجدها فى صدر هذا المقال .

ولكن هناك بقية نحب أن نستوفيها فى المجال الثقافى ، وهى — على أنها بقية — أتعبت شعراءنا المعاصرين فى غير طائل ، وأجهدت مواهبهم الاصيلة فى أودية الاوهام الكاذبة والظنون الباطلة .

واعنى بذلك ما أصاب فريقا من خيرة شعراء «مجلة أبولو» ، وما سرى الى بعض الناظمين الآن ممن يسمون أنفسهم بالشعراء من تعلق بالمذهب «الرومانتيكى» الذى تمردت عليه أوربا اليوم ونبذته، فشعراؤنا — عافاهم الله — فى تعلقهم بحبال غيرهم ، وانفصالهم عن طبائعهم العربية صرفوا فنهم عن سبيل الجد التى تحسنها فطرتهم حين تستقيم على الجادة ، ولا تلتوى بها طرائق التقليد الذى يقبح فى كل فن أصيل .

على أن شعراء « **أبولو** » كانوا أرشد من زملائهم المعاصرين ، فقد سلك هؤلاء مذهب « الرمزية » الاوربية بفهم وبغير فهم لحقائق المذهب وأهدافه ، فتشعبت امامهم المسالك ، والتوت أساليبهم وران عليها صمت موحش وغموض تضل فيه الاوهام ، فليس عجبا أن تتجمع فى قصائدهم سحب داكنة تلمع من خلالها أشعة خافتة لا تظهر الا لتختفى وتنداح فى الأثير .

واذا كان بعض هذا السخف يبرأ منه الطبع العربى ، فان البلاغة العربية تنفر نفورا شديدا من الخروج بالشعر عن أوزانه التى درج عليها منذ نشأته ، واطراح القافية التى ألفت أسماعنا أن تستريح اليها فى نهاية كل بيت من أبيات القصيدة العربية .

وقد تمادى هذا الفريق الثائر بالتخفف من الوزن والقافية ، وجعل مذهبه عنوانا للتجديد والتحرر من قواعد الشعر وقوانينه ، ونسى أن كل فن رائع تحكمه قواعده ، ويتحاكم جماله الى قوانينه التى

تتصل بطبيعته ، فاذا تجاهلها الفن صار الى هذيان الممرورين ، والتحق بعبث الصبيان ٠

ومن شر ما تمنى بتصديقه العقول السليمة زعمهم الذى يروجون له : من أن التزام الشاعر العربى للوزن والقافية يسلبه حرية التصرف فى عرض الفكرة ، ويحرم قراءه من الاستمتاع بكثير مما تزخر به النفس من عواطف وأحاسيس تقف قيود العروض دون التعبير عنها فى حرية وطلاقة ، فعندهم أن نظم الشعر على زنة « **التفعلية** » يخلصه من قيوده التى ظل يرسف فيها من أمد طويل ، ويمنحه الحرية الكاملة فى عرض العواطف وصياغة الافكار !!

ولسنا نملك تجاه هذه المزاعم الباطلة الا أن نسرى عن انفسنا بما يذهب عنها هذا الضر ، فنبسط اكف الضراعة للمولى سبحانه أن ينزل شآبيب رحمته على العواطف الموءودة ، والأفكار التى اختنقت فى صدور كبار الشعراء من لدن امرىء القيس حتى يومنا هذا ، لأنهم أجروا فنهم الشعرى على نظام العروض الذى اهتدى اليه عالم العربية الخليل بن أحمد !! ٠

اما اذا شئنا أن نصير الى شىء من الجد فى مناقشة هؤلاء المجددين ، فان الامر لا يعدو فى افحامنا الا أن يعرضوا علينا فى ـ نثرهم الشعرى ـ انماطا جديدة من الاحاسيس والافكار كانت ميتة فى خواطر أمثال جرير وبشار وأبى تمام وابن الرومى والبحترى والمتنبى ، لنعلم أنها استمدت حياتها من تحررهم عن العروض ، وعرفت على أيديهم المباركة سبيل البعث والنشور ٠

مساكين هؤلاء السادة حين شقوا على أنفسهم ، فراحوا يروضون مواهبهم القوية فى وعاد الفن ومتاهات الطريق ، وكان خيرا لهم وللشعر أن يدفعوا بها الى القمم العالية التى لا يعرف الشعر العربى غيرها منذ أن نطقت به شفتان ، ولكنهم شاءوا أن يستحدثوا لنا الاعاجيب المضحكة كل يوم فى الصحف والمجلات والدواوين ٠

ولا أكاد أفهم بعثرة للمواهب وتفريقا للمشاعر واضاعة لما يزخر به الوجدان الا على هذا النحو الذى نقرؤه فى نتاج هؤلاء المساكين ٠

وعلى هذا ، فالعيب ليس فى ثقافة العصر ، وانما العيب فى انتخاب اسوأ النماذج واختيار الردىء الغث من المذاهب فى غير بصر ولا معرفة ، ثم محاولة اجرائها فى شعرنا العربى جريا وراء التقليد، وايثارا لشهوة تنزع بهم الى ما يسمونه بالتجديد !!

والاصل الثالث يتمثل فى الانفعال بالحياة وأحداثها ، والطبيعة وجمالها ، والنفس الانسانية وما يجرى فيها من فيض زخار متنوع الاتجاهات والبواعث ، وهذا الانفعال هو الجانب العمق للمسألة ، والعنصر الذى يتوقف عليه نوع النتاج الفنى وقيمته الجمالية ، وكما أن آلة التصوير لا تلتقط المناظر الا بحركة ضاغطة ، كذلك الموهبة الشعرية لا يمكن أن تباشر وظيفتها الا بهيج شعورى فياض ، وحركة نفسية عارمة ٠

فالشعر الذى يقرضه صاحبه دون شعور عنيف ينتظم الوجدان ويغمر النفس ، ينفصل من وجدان الشاعر فاترا كسولا كأنه حديث من غلبه النوم فاسترخت أعضاؤه ، وثقلت الكلمات على لسانه ، وهذا النوع من الشعر لا يثير فى سامعيه أو قرائه الا نفورا واعراضا، لانه يفقد حرارة التعبير ، وصدق الشعور ، وهاتان الميزتان أثر من آثار صدق الانفعال ، وحسنة من حسنات جيشان الخواطر فى كيان الفنان المطبوع ، ومن هنا تدرك غثاثة شعر المناسبات التى يراد عليها الشاعر أو يتكلفها ، فان الكذب يمسخ الصور الفنية ، ويقطع اوصالها التى ينبغى أن يشد بعضها بعضا ، فلا جرم أن يستقبله القراء والسامعون فى فتور وتراخ كما يستقبلون أحاديث النائمين او المخلطين ٠

ومصادر الانفعال العاطفى ثرة فياضة فى العالم العربى على العصر الذى يعيش فيه جيلنا ، لانه عصر تحول فى الآراء ، وفهم جديد للقيم ، ووعى بالغ فى بناء المستقبل ومواجهة الحاضر ، وفترة تلك شأنها من حيث تلاحق أحداثها وفوران آمالها كان حريا أن تقدم الى الامة العربية ــ دون ابطاء ــ شعراء عباقرة وموهوبين بارعين ، فاكتمال البواعث الشعرية فى المحيط العربى خليق بأن يجدد للشعر نشاطه ، ويرفع لواءه فى الاقطار العربية كلها أو جلها ٠

ولكنا بعد هذا كله لا نزال فى موقف المتسائلين عن الشاعر العربى المعاصر ، أين هو ؟ ، ومتى يظهر ؟ ، وقد نجد الجواب فيما يلى هذا المقال ٠

« د ٠ عبد الرحمن عثمان »

ليست هذه آخر كلمات العقاد

بقلم: عباس الأسوانى

- ٢ -

قلنا فى المقال السابق أن الكتاب الذى نشره الاستاذ عامر العقاد تحت عنوان **«آخر كلمات العقاد»** وذكر فى مقدمته انه عثر على هذه الكلمات مدونة فى مفكرات اكتشف وجودها بعد وفاة العقاد ـ هذا الكتاب حوى كلمات سبق أن نشرها استاذنا العقاد قبل وفاته بسنوات طوال وقدمنا ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ، نموذجين لهذه الكلمات القديمة. وأضفنا ان مراجعة الاستاذ عامر كانت مراجعة متعجلة لم تمكنه من ادراك ماشاب بعض الكلمات من تناقض واضح .

وكتابة الحكم هى اشق فنون النثر واحقها بالمراجعة الدقيقة من حيث الشكل والمضمون .. وقد كان كاتبوها فى الغرب يراجعون الحكمة الواحدة عشرات المرات بل كانوا يشركون اصدقاءهم من الأدباء فى هذه المراجعة .

وفى فرنسا كان « **لاروشيفوكولد وباسكال** » يترددان على صالون « **مدام سابليه** » (١٦٥٩) حيث يجتمعون مع لفيف من كبار الادباء والمفكرين لكتابة الحكم .. وكانت طريقة الكتابة تخلص فى أن يقترح أحد الحاضرين موضوعا يصلح أن يكون محلا لحكمة .. فاذا ما قبل الاقتراح واستقر الرأى على صلاحية الموضوع طرح للمناقشة جلسة او جلستين .. ثم انصرف كل منهم لصياغة حكمة ثابتة فيه .. وتناقش بعد ذلك الصياغة والمضمون .. الى أن يتم اختيار ادق الكلمات التى تستوفى شروط الحكمة من حيث الايجاز وتناسب الالفاظ مع المضمون الذى تعبر عنه .

من ذلك يتضح كيف أن كتابة الحكم لايمكن أن تتم عفو الخاطر ولا يجوز أن تنشر تحت هذا الوصف قبل مراجعتها بدقة .. ونحن على ثقة من أن استاذنا العقاد كان لا بد وأن يراجع هذه الكلمات لو أتاح له الموت البغيض أن ينشرها بنفسه ، اذ ان العقاد كما هو معروف ، من أدق الكتاب وأحرصهم على مراجعة ما يكتبه قبل أن ينشره على الناس .

وفى صفحة ١٢٠ من كتاب « أنا » الذى نشرته دار الهلال يقول العقاد « ويهمنى كثيرا أن اعود الى كلامى قبل الطبع لأصححه وأراه فى صورته الاخيرة الا أن يعوقنى عن ذلك عائق » .

لقد وضع الاستاذ عامر تحت عنوان « حكم مأثورات » كلمات لا يمكن أن تكتسب وصف الحكم لامن ناحية المضمون ، ولا من ناحية الشكل .

اما عيوب الشكل فواضحة فى الكلمات التى شابها تطويل وتفسير .. والحكمة لا تطيق التطويل ولا تحتمل التفسير .. وانما قيمتها فى ذلك الايجاز المشع فتقول فى كلمات ما يقال فى مجلدات .. وهذا لايعنى ان جميع الكلمات قد اعتورها هذا العيب .. ففى الكلمات نماذج لما تكون عليه صياغة الحكمة .. ومن ذلك على سبيل المثال كلمة العقاد فى صفحة ٧٤

« لايهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير ولكنه يقيم الخضم الواسع ويقعده » وكلمته في صفحة ٩٢ « كن نارا ولا تكن حريقا » ٠٠ فهذا هو الايجاز في الشكل الذى تتطلبه الحكمة والذى كان العقاد لا بد ان يحققه لو نشرهذه الكلمات كما فعل الاستاذ عامر تحت عنوان « حكم مأثورات » ٠

والمسلم به ان مضمون الحكمة لا بد وأن يتناسب مع الجهد الدقيق المبذول في صياغتها والا اضحت عناء تحمله الكاتب بلا معنى ٠٠ كما انه من المفروض أن يكون هذا المضمون يعكس حكما مطلقا لا رأيا شخصيا ٠٠٠ والافات على الكلمة غرضها وهي الارتفاع الى مرتبة الحكمة السائرة التي يتناقلها الناس مؤمنين بمضمونها ٠

وبعض كلمات استاذنا العقاد لم يحقق هذه الشروط ٠

ومن ذلك قول الاستاذ العقاد في صفحة ٨٧ « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت الذى لا شك فيه » ٠

لانك تشعر وانت تثنى على صاحب الفضل المشكوك فيه انه محتاج الى ثنائك ، والانسان يجب أن يشعر باحتياج الناس اليه ٠٠ ولانك تثنى عليه وانت تعلم انك قادر على انكار فضله والانسان يحب حرية الاختيار ٠

أما صاحب الفضل الثابت فلا حاجة به الى ثنائك ولا انت قادر على انكار فضله ٠

انت مرغم على الشهادة له ان شهدت والنفس تابى الارغام وتتحاشاه ٠٠ واعتقادنا انه لو قد اتيحت فرصة لاستاذنا العقاد لمراجعة هذه الكلمة لما ادرجها كما فعل الاخ عامر تحت وصف « حكم مأثورات » ، لأنها بشكلها الحالي اقرب ما تكون الى المقال القصير وتحفل بالتفسير وادلة الاقناع وهما الد اعداء الشكل في الحكمة ٠ واما المضمون فهو لا يعبر عن حقيقة يؤمن بها الكافة شأن ايمانهم بالحكم المأثورات ، اذ لايمكن التسليم بأن « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت الذى لاشك فيه » ٠ اما التعليل الذى ساقه استاذنا العقاد لتدعيم هذا الرأي ٠٠ فهو تعليل يصدق على بعض النفسيات المريضة التي يؤذيها الثناء على صاحب الفضل الثابت ٠٠ فأصحاب الطبائع السوية لايستشعرون حرجا ولا ارغاما في



هذا الثناء ٠٠ ان الله ـ وهو اعظم المتفضلين ـ يثنى عليه الناس مختارين ٠٠بل متوسلين أن يلقى ثناؤهم القبول ٠

وفي صفحة ٨٨ يقول العقاد « **الرجل الذى يحبه جميع الناس لا يحب جميع الناس** » ٠٠ وفي رأينا ان هذه «الحكمة» لاتؤكد حقيقة ٠ فمن ناحية الشكل استخدم استاذنا العقاد كلمة « جميع الناس » وهو استخدام فيه اسراف ٠٠ لانه لم يخلق بعد هذا الانسان الذى يجمع على حبه الناس ٠٠ فاذا قيل بأن المقصود او المفهوم هو « معظم الناس » لا « جميعهم» كان هذا التفسير دليلا على عدم دقة الصياغة المتطلبة دائما في شكل الحكمة بحيث يجب أن توضع الكلمة المناسبة تماما ولا كلمة غيرها ٠٠ هذا من ناحية ٠٠ ومن ناحية اخرى فان هذا التفسير نفسه يؤدى الى ظهور بطلان الحكمة ٠٠ فليس من الضرورى المسلم به « ان الرجل الذى يحبه معظم الناس لا يحب الناس » فقد ظفر الانبياء والقادةواصحاب الرسالات بحب معظم الناس ولم يقل أحد انهم لا يحبون الناس ، اذ انه من المسلم به ان الأنبياء وأصحاب الرسالات كانوا يحبون البشر حبا عظيما شمل خصومهم قبل انصارهم ٠

وفي صفحة ٩٢ يقول الاستاذ العقاد « **الذين قالوا ان الانسان يطلب السرور لم يقولوا شيئا ٠ لان سرور انسان حزن لآخرين** » ٠٠ ونحن لسنا مع هذا الاطلاق ، فكثيرا مايكون سرور انسان سرورا لآخرين ٠

وفي صفحة ٩٩ يقول الاستاذ العقاد « **الموت اعم المصايب وقوعا ولايزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء، على ان ذلك لايفيد انه غير مالوف ولكنه يدل على ان الانسان لايجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه** » .

وهذه النتيجة التي وصل اليها العقاد لايمكن أن تستفاد من الموت وحده . فقد طبع الناس على أن يجزعوا لما يصيبهم انفسهم ولو كان هينا وعلى عدم الاكتراث بمصائب الآخرين ولو كانت الموت . بل ان بعض الحكماء يرى أن في مصائب الآخرين شيئا « لا يضايقنا » او بمعنى اصرح اننا قد نتجاوز عدم الاكتراث بمصائب الآخرين الى الاحساس بالارتياح لاننا نجونا .. ولسنا نحن المنكوبين .

اما كون الموت اشد المصايب ايلاما واقلها قبولا للعزاء فاعتقادنا ان مرجعه ليس انانية الانسان وجزعه لمصابه . وانما علته ان الموت ينتزع الحياة وهي اغلى ما وهبه الله .. ولا بد ان تتناسب درجة الجزع لدى الفاقد مع قيمة المفقود .

وفي صفحة ٣٢ (تحت عنوان آخر كلمات) .. يقول العقاد « **الحاكم القدير هو الذي يتقبل المشاركة في اوامره ولا يتقبل المشاركة في تبعاته وتكاليفه** » .

وفي رأينا ان الحاكم الذي يتحدث عنه الاستاذ العقاد لا وجود له .. بل لايمكن أن يتصور له وجود. فالحاكم القدير اما أن يكون مستبدا ــ ولا شأن للاستبداد بالقدرة ــ ومثله لايمكن ان يقبل المشاركة في اوامره . واما أن يكون قديرا عادلا .. ولابد أن يقوده عدله الى الديموقراطية .. أي الى اشراك المحكومين في تبعات الحكم وتكاليفه . لان اقدس حقوقهم لا يجوز لحاكم عادل أن يحرمهم منها .

وفي صفحة ٥٢ يقول الاستاذ العقاد « **الشبه عظيم بين ملامح مصطفى كمال وموسوليني ودي فاليرا وربما دل ذلك على ان هؤلاء الزعماء جمعوا شيئا من قوة الرجل وشيئا من قوة المرأة فباتوا اكثر من رجال واكثر من نساء ، وبلغوا بذلك مرتبة السيادة على عامة الناس** »

ولا محل لمناقشة ما فسر به العقاد الشبه العظيم بين ملامح هؤلاء الزعماء ، فهو لم يجزم بأنهم جمعوا شيئا من قوة الرجل وشيئا من قوة المرأة وانما قال « ربما » ، ولكن الجدير بالمناقشة هو ما قرره على وجه القطع من أن هذا الجمع ــ اذا وقع ــ يجعل صاحبه اقوى من الرجل ومن المرأة .. ويبلغ مرتبة السيادة على الناس .

والحق انها « معادلة » فكرية يعوزها الدليل .. و « مزيج » يمكن أن يؤدي بصاحبه الى أن يكون « خنثى » أقل من الرجل ومن المرأة على السواء . ولا يمكن أن يفسر بحال وصول هؤلاء الزعماء الى مرتبة السيادة والنفوذ .

وفي صفحة ١٠٠ يقول الاستاذ العقاد : « **الكرم قوة .. لانه علامة استغناء الرجل عن الناس بقدر احتياجهم اليه كما ان بذل المال علامة القدرة على اكتسابه في كل آن** » .

وهذه الكلمة ــ في رأينا ــ ليست دقيقة .. لانه لاعلاقة للكرم بحاجة الآخرين .. فالانسان قد يكرم من هو اغنى منه وليس في حاجة اليه كما ان بذل الكريم للمال ليس دائما علامة القدرة على اكتسابه له في كل آن . فالكريم الحق يبذل دون أن يفكر في احتمال كسب المال الذي بذله .. بل قد يكون على يقين من عدم تحقق هذا الاحتمال .. ولعل البذل في هذه الصورة هو وحده الذي يكسب الكريم صفة الكرم .

وفي صفحة ٣٦ يقول العقاد : « **من معاذير البخيل لنفسه اذا هم بشراء شيء يؤكل او يلبس ثم لم يجده أن يخاطبها قائلا « افرضي انك اكلته .. افرضي انك لبسته .. ثم يرد المال الى موضعه** » .. وواضح أن هذه الكلمة لاتحمل مضمونا يجعلها جديرة بأن تدرج مع الحكم او الكلمات المأثورات لأنه مضمون مفهوم للعادي من الناس وان كان هذا الحوار ليس مقصورا على البخيل وقد يتداوله الممسك مع نفسه أيضا .. لان لذة البخيل الحق في اختزان المال تغنيه عن مشقة الخيال والافتراض فلا يعاني أي صراع ولا تتحسر نفسه على طعام أو شراب .

وبعد ..

فهذه ملاحظات سقناها حول «آخر كلمات العقاد» ولا نحب أن نختمها قبل أن نؤكد ان الكتاب حافل بآراء عميقة وحكم بالغة لأستاذنا الراحل الكريم .. وكل ما نرجوه من الاخ عامر ــ وقد قرأنا أنه يعتزم نشر ديوان « ما بعد البعد » ومؤلفات اخرى ــ أن يسعى لاشراك بعض زملاء العقاد او تلاميذه في مراجعة هذه المؤلفات التي يعتزم نشرها . فان تعدد النظر كفيل بتلافي الاخطاء وتنقية المسودات .. لأن المسودات هي عورات المفكرين يجب سترها بثوب المراجعة الدقيق !

« **عباس الأسواني** »

"مصطفى صادق الرافعى" فى ذكراه



بقلم: حسنين حسن مخلوف

فى العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ صعدت روح الأديب العالم « مصطفى صادق الرافعى » الى بارئها أوفى ما يكون صحة ، وأوسع مايكون آمالا فى مضاعفة الانتاج الأدبى بعد أن بلغ السابعة والخمسين .

ان هناك أشخاصا معروفين فى هذه الأمة فى عصرنا الحديث صنعوا أنفسهم بالجهد الدائب فى القراءة والاطلاع والفهم فلم يدعوا كتبا نافعة أو صحفا سيارة أو أفكارا فى الثقافات الأجنبية الا درسوها ، واختلط كل أولئك بعقولهم ومشاعرهم ، وكون منهم أدباء متصرفين ومفكرين جددا .

وكيف تقاس المدارس والجامعات التى يدرج الطالب فيها مع الزمان ؟ ثم يأخذ شهادة هى فى الأغلب الأعم تصنع آلة حكومية تجلب الرزق وتكفل مطالب العيش الرتيب .

كيف تقاس المدارس والجامعات بالرغبة الجارفة والنفس الحافزة التى تسهر وتقرأ وتوازن وتحرق دمها فى سبيل ما أحبته وعشقته من الآداب والفنون .

هذا صديقنا الرافعى ـ رحمه الله ـ يخرج الى الدنيا فى أواخر القرن الماضى ، وبعد ان أحرز الشهادة الابتدائية رغب فى الوظيفة كما يرغب أمثاله ، اذ كانت الابتدائية أول شهادة تؤهل لوظائف الحكومة فى وقت بدأت بواكير الوعى فى مصر والعالم العربى تبرز من كمامها ، وأخذت حرارة التطلع الى المجد الضائع تحرك القلوب والعقول . وكان عمل الوظيفة عند الرافعى محدودا ، وظل كذلك طول حياته ، فعنده من الوقت الكثير يقرأ الجرائد والمجلات ويشترى الكتب القديمة والحديثة فضلا عن مكتبة قيمة تركها والده القاضى العالم الكبير . وما هى الا سنوات حتى قال الشعر ، وكان المظهر الأول للشعراء من الأدباء فى الأغراض العاطفية والوطنية وتقليد القدماء .

ولم يلبث الرافعى أن رأى نفسه جنديا فى ميدان الأدب . يزور القاهرة فى فترات متعددة ، ويتصل بالأدباء وكتاب الصحف ، وقد نشرت له الصحف والمجلات الكثير من الشعر والنثر والنقد الأدبى .

لقد كتب ما كتب فشغل الأمة العربية من شرقها الى غربها اذ قرءوا له وأعجبوا به . . . ذلك أنه كان قريبا من عواطفهم الانسانية والدينية .

كانت العروبة أملا يتجاوب على الألسنة ، فكانت مقالاته وكتبه من أسباب تمكينها ورسوخ قدمها .

لقد جمع الرافعى فيما كتب عقل الفيلسوف وخيال الشاعر وروح المتدين وأسلوب الأديب ، فلايزال يداول بين المعانى والأساليب حتى يخرج للبيان العربى قطعة فنية كأنها تمثال جميل للمعانى العالية ، والأساليب الرشيقة .

يقرؤه المفكر فيرى عمق الآراء وسلامة البراهين ، والشاعر فيرى تفننا فى بلاغة العبارة وابداع التصوير ، والمتدين فيرى حكمة الله فى الاشراق الأدبى ، والأديب فيرى أسلوبا من النور تحيط به هالة من الاشعاع . وكما تختلف الأذواق فى الألحان الجميلة على قدر تعود الآذان على فنون الموسيقى اختلف الحكم فى أسلوب الرافعى .

فاذا قرأه ضحل الثقافة الذى لم يتعود الأناة حتى يدرك مواضع الجمال فى القول ، أو الذى أغلب ثقافته التهام مقالات الجرائد من غير تمييز أو كان القارىء ذا غرض ، وكثيرا ما تآمر بعض خصوم الرافعى وتلاميذهم عليه لقسوته فى انتقادهم ،

ولتفننه في تشقيق المعاني ، وابتكار الأساليب · اذا كان قارىء الرافعي واحدا من هؤلاء لم يرض عن أدب الرافعي وحكم احكاما جائرة على سائر مقالاته وكتبه · ولكن بقي الرافعي هو هو الأديب الممتاز لأن الناس لا يصدقون أن الكلف كل شيء في مطالع البدور ·

لقد تفنن الرافعي فيما كتب واختار موضوعات أفاض فيها كموضوع الحب الذي اخترع له أساليب وجدانية ومعاني انسانية فلسفية شريفة طاهرة لم يسبق بها أحد في اللسان العربي من شعراء وكتاب أما كيف أحب ، وكيف شغل نفسه بفلانة أو فلانة فهذا نوع من أعاجيب الخلق حتى حقق بكتبه في الحب ما رسمه لقراء العربية على مختلف الأجيال · وسنفرد له ان شاء الله فصلا نتحدث فيه عن عشق الرافعي ورأينا فيه ·

لقد كان الرافعي حجة في اللسان العربي عالما بأسرار القرآن وأهداف الاسلام علما امتزج بعقله وقلبه فكان على بصيرة فيما يأخذ وما يدع · وطالما قامت الدنيا وقعدت حول الرافعي ناقدا أو منقودا فكان طودا شامخا لا تزعزعه العواصف والأنواء · وقد تحدثت اليه في هذه الشئون فكان الطف الناس ذوقا وأرقهم احساسا لولا شدة عرفها الناس فيه وأسلوب اتسم بالسخرية اللاذعة تمده معرفة واسعة بكل ما تفنن فيه الشعراء والكتاب من قديم العصر الى حديثه ذلك الى طابع خاص ينم عن قدرة فائقة وامتياز في شخصية الرافعي في مواطن النقد والمناظرة · وكان مثله في ذلك مثل جرير الشاعر الأموي· قيل له في هجائه المر للشعراء وهدمه لكل من يتصدى له فاجاب : انهم يبتدئونني ، ولا أقدر على السكوت ·

لقد كان خصوم الرافعي في القاهرة وبيدهم مقاليد الصحف والمجلات ولهم أتباع وأنصار وهو في طنطا لا يبرحها الا قليلا رحم الله الاستاذ العقاد فلقد كان عظيما وخلف للأدب والفكر والثقافة ثروة ضخمة ، وكان من الشدة والصرامة في نقده بحيث لا يتخير عن الرافعي · ولابد أن يميل الدارسون لأدب العقاد في الاذاعة مسموعة ومنظورة الى نقد الرافعي له فيقولون وكانهم لا يعلمون · لقد قسا النقاد على الرافعي حيا وميتا حتى الجنس اللطيف أبى الا أن يتشيع ، فقد ألفت احداهن كتيبا بعد وفاة الرافعي بسنين طويلة ركزت همها في تعبيرات الحب التي فيها شيء من الغموض وأغمضت عينيها عن محاسنه، وعما قدم للأدب والثقافة من بيان خالد وابتكار فريد ، وأفاضت في مثالبه ماشاءت أن تفيض لعلها ترضي بعض الناس ·

الجنس اللطيف ! يا عجبا ! يقحم نفسه في مكايد الفحول حتى يحس القارىء أن هذا النقد كلام مذكر في ثياب مؤنث ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم·

لقد بشر الرافعي بالاشتراكية الاسلامية وكثيرا ما تمنى لها أن تكون عملا نافذا وجوهرا يتعامل به الناس ، فصدق الله ظنه بعد فترة من الزمان على يد أبطال ثورتنا العربية ، وبمجهود شعبنا العظيم ·

هاندا أمام الرافعي وجها لوجه في طنطا وقد نقلت مدرسا فيها ·

قال صديقي : أتعرفه ؟ قلت : نعم · لقد نقدته فرد على ردا سلخني فيه ، ويحسن أن تدع التقديم الآن · وفجأة نطق صديقي باسمي ، والرافعي يتطلع الى حركات شفتيه ·

اذ كان قد حيل بينه وبين السمع فقال : حسنين مخلوف الذي نقدني !

قلت : نعم · فقال : هل بينك وبين شوقي صلة ؟ لقد أكثرت من الحديث عن شعره حين نقدتني ، أهو الذي حرضك على نقدي ·

قلت : لا · انما الذي يحفزني على النقد اعتقادي أنه لا يضر المنقود وانما يشغل الناس به ، ويكون سببا في اذاعة اسمه وان كان يحدث مشكلة تحمل الباحثين على خلق أدب جديد وآراء تغذي العقول وتفيد القراء :

وليس السر في غضب هؤلاء الادباء أن ذاتهم الكريمة قد أهينت ، وانما هو نوع من الكبرياء هو الذي يغريني بهم ·

والنقد الادبي ان خلا من هذه الحرارة فانما هو مقال يقرأ او لا يقرأ ، وربما غلب النعاس على قارئه قبل أن يأتي عليه ·

لقد سعدت بصحبة الرافعي أقرأ مؤلفاته وأعنى بمقالاته عناية خاصة ، وكلما مر زمان ازددت تقديرا له وحبا فيه · وكنا لا نفترق الا على ميعاد ·

كنا نتحدث في كل جديد من القضايا الادبية هو ينطق وأنا أكتب له ، وكان هذا وسيلة تفاهمنا ·

كان يقول : **ان في نفسي سرا الهيا يوجب علي أن أحمي الاسلام من عبث العابثين فاذا مس كاتب الاسلام بسوء لم انم الليل حتى أصوغ مقالا في الرد عليه ، فاذا حاول بعد ذلك ان يكابر ثنيت عليه بضربة كانت القاضية ·**

كان الرافعي مشغوفا بالحديث عن العروبة والاسلام · قلت له مرة : قرأت مقالا لأحد الادباء من الاقطار العربية يعاتب مصر عتابا مرا ويقول : انا متعلقون بمصر : زعمائها وأدبائها وساستها ومصر لا تلتفت الينا · قال الرافعي : الكاتب على حق · وبعد زمن قريب سيكفل الادب والثقافة العربية تقارب المشاعر والعقول ·

وكان يقول : الفلسفة ضرورية للاديب اذ هي التغلغل في اعماق الاشياء والتأني في ادراكها وابراز المعاني قوية ، والأخيلة لطيفة في أسلوب رشيق يخلب الالباب ، ويستأثر باعجاب القراء ·

والعبقرية الادبية نوع من التركيب المخي ، فقد يقرأ الانسان ويحفظ المنظوم والمنثور ، ويتذوق ويصير أديبا ويكتب ولكن لا يصير عبقريا الا اذا كان ذلك في تركيب مخه من الخلقة تركيبا صالحا للاعجاز الفكري ، ولذلك قل العباقرة في العالم ·

وفي هؤلاء الادباء والصحفيين استعداد لذلك · ولكن مطالب العيش من شق القلم أضاعت كثيرا من معالمهم ، فقد تقرأ المقالة الطويلة فتعجبك منها فكرة في سطرين · وكأنه كان يرمي الى تعليمي فيقول : اكتب وتفلسف فاذا أتممت مقالا فراجعه ، وانظر قوة المعاني كما تنظر قوة الأساليب ثم فكر كيف تؤثر · فأرد عليه في وربقاتي : لا أستطيع · لان حرفة التدريس تأخذ من جسمي وعقلي ومشاعري ، واذا شغلت بالكتابة فانما يكون ذلك على حساب تلاميذي ·

اتراني لو كتبت مقالا من العشاء الى الفجر · أكنت مستطيعا أن أشرح الدروس في اليوم التالي؟· ولذلك قل انتاج طبقة المدرسين والناس لا يعذرون · فيقول الرافعي : اذ لم تكتب اليوم فمتى تكتب ؟ أتنتظر الى أن تشيخ ؟ ان المخ يشيخ · فانتهز الفرصة قبل أن تضيع من يدك بمرور الزمان · وهكذا كان · بقيت في رحاب المدارس حتى بلغت السن ، وتحمس الاستاذ محمد سعيد العريان – رحمه الله – لنصيحته فكتب في الرسالة حتى أوصله القلم الى رتبة وكالة الوزارة ·

كان لا بد للفن القدير في أدب الرافعي وثقافاته الواسعة أن يخرج من الغلاف الذي وضع فيه الرافعي نفسه ، غلاف العواطف المحدودة وتحليل معنى الحب الذي خصه باربعة كتب صارت تثير عليه الزنابير الا بعض مقالات في المناسبات أو بطلب من أرباب الصحف ·

نعم يجب أن يخرج الرافعي الى هذه الدنيا الواسعة التي تنوعت فيها الافكار والآراء والعواطف في مصر والعالم · وقد حان الوقت الذي تبرز فيه مجالات الرافعي الادبية والاجتماعية والدينية أوسع ما تكون ، وذلك حينما دعاه الاستاذ صاحب الرسالة أطال الله عمره – ليكتب في الرسالة بصفة دورية فاستجاب له ·

وقد جمعت مقالاته في كتاب «**وحي القلم**» باجزائه الثلاثة ·

لقد نشرت الرسالة أول مقال للرافعي والتقيت به فقال لي : هل قرأت الرسالة ؟ قلت: نعم · وأعجبك مقالي ؟ قل لي رأيك فيه ·

وكان الرافعي متى أحس في محدثه اخلاصه وصدق مودته استمع له في اطمئنان وقبول · قلت: ان الكتابة الدورية في مجلة الرسالة تتطلب من الكاتب أن يكون له منهج يناسب القراء · وهم يختلفون في درجات الثقافة فلا بد من التيسير وتسهيل الاسلوب · قال : عجبا أتريد أن أغير أسلوبي ؟ · انني أمثل أسلوب استاذي الجاحظ أديب العصر العباسي · قلت : ان زمانك يختلف عن زمان الجاحظ، فاسلوبك السهل في سموه كاسلوبك الجزل سواء بسواء ·

حاول أن تكتب مقالا باسلوب أقرب الى أسلوب الصحافة من غير توقيع واعتقد أن كثيرا من القراء اليقظين المتأدبين سيعرفون توقيعك من ثنايا كلامك · وفي فجر الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وما بعد كان الاستاذ المنفلوطي يكتب مقالات سياسية تناسب الاسلوب الصحفي وطاقات القراء وتكتب الجرائد في ذيل المقال (لكاتب الكبير الذي ان أخفى اسمه فقد ينم عليه قلمه) وقرأ المقال فادرك اسلوبه وطريقة تفكيره ولما جمعت هذه المقالات في أحد أجزاء (النظرات) لم يخطيء ظني في أنها له · وهكذا صار الرافعي يكتب كل أسبوع في الرسالة فكان موضع اعجاب القراء في مصر والعالم العربي · وقبل أن أختم كلمتي هذه أنقل شيئا من مذهب الرافعي في أسلوبه · قال (وربما عابوا السمو الادبي بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ولكن الحسن كذلك · ان لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع · وان لم يكن الكاتب البياني فلا تنتظر الأدب) · رحم الله الرافعي وأحسن جزاءه ·

« **حسنين حسن مخلوف** »

الدين والتحول الاشتراكي الجديد

بقلم : محمود الشرقاوي

تجيئنا في الشهور الأخيرة من الدول الاشتراكية الشرقية أنباء ذات أهمية كبرى للذين يشتغلون بشئون الدين ويعنون بأمور العقيدة والفكر . وهي أنباء ـ على أهميتها تلك ـ لا أكاد أجد لها صدى بيننا ، ولا تثير في نفوس هؤلاء المشتغلين بشئون الدين والعقيدة ما تستحق من الاهتمام . أما أثرها على الفكر فقد تحدثت عنه في بعض ما نشرت بمجلة « الرسالة » ، مقال : « التجديد والتقاليد » في العدد ٧٦ منها .

في بعض هذه الأنباء أن « البرلمان » في واحدة من تلك الدول الاشتراكية من دول أوربا الشرقية ناقش : « مشكلة ثلاثة ملايين شاب يبلغون خلال السنوات الخمس القادمة سن العمل والانتاج الفكري ، ويبحث البرلمان في كيفية مواجهة أعباء المرحلة القادمة فكريا وعقائديا » .

ثم تقول هذه الأنباء ـ التي نقلتها جريدة الاهرام ـ ان الحزب الشيوعي في هذه الدولة الاشتراكية ـ بولندا ـ يضع أمامه للبحث مشكلة تستحق كل دراسة واهتمام ، وهي علاقة الحزب برجال الدين وسلطاتهم : « التي تلعب دورا خطيرا في سياسة بولندا في داخل برلمانها وبين طبقات الشعب » .

ثم تقول الأنباء ، وكأنها تبرر هذه المنزلة الممتازة لرجال الدين في دولة لا تؤمن بالدين ، ان الكنيسة ، طبقا لرأي المسئولين في بولندا ، قد لعبت دورا هاما أثناء احتلال النازي لبولندا ، وقاوم رجالها وأساقفتها الاحتلال النازي بالسلاح وشتى وسائل المقاومة الايجابية . وكانت الكنيسة هي المكان الوحيد الذي يستطيع الشعب أن يسمع فيه اللغة البولندية التي كان النازي يعارض استعمالها . وكانت الكنيسة تقوم باخفاء الوطنيين البولنديين الذين كانوا يحاربون النازي ، وتتولى علاج المصابين منهم .

فهذا اعتراف من دولة شيوعية بقوة العامل الديني وتسليم لأهله ، وتمكين لهم من أن يكونوا ذوي « تأثير خطير » في سياسة الدولة ، داخل برلمانها وبين طبقات الشعب .

ولكن الذي نجده أكبر من ذلك وقعا وأبرز أهمية، هذا الذي تقوله الرسالة عن ايمان الشعب البولندي في الدولة الشيوعية ، وتمسكه بالعقيدة :

« والشعب البولندي شعب مؤمن بالكنيسة والدين ، وفي يوم الاحد تمتلىء الكنائس في كل مدن بولندا بالمصلين من كل سن ، حتى بين الشباب ، وتطوف المواكب الدينية شوارع المدن رافعة بالشعارات الدينية ، حاملة تماثيل القديسين بين تراتيل الاساقفة وأنشاد الشعب .

وقد حدث أن عارضت الدولة منح العمال والموظفين اجازات في المناسبات الدينية مثل أعياد الميلاد ورأس السنة وعيد القيامة ، ولكنها سمحت بمنحهم الاجازات دون أن تذكر المناسبة . وأصبح الجميع يحتفلون بهذه الاعياد بموافقة الدولة وبدون تدخل من جانبها .

ثم نعرف من هذه الأنباء أن في هذه الدولة الاشتراكية التي لا تؤمن بالدين رجالا دينيين لهم زعامة وسطوة وأتباع ،نعرف أن من أهم الشخصيات

الدينية في بولندا الكاردينال تشنيسكي رئيس الكنيسة الكاثوليكية ، والزعيم الديني في بولندا ويتبعه مئات من الاساقفة ، والرهبان ، والراهبات ، يؤدون الطقوس الدينية بموافقة الدولة ، دون اعتراض منها وتسمح الدولة بتمثيل الكنيسة في البرلمان بمجموعة من الناس يطلقون عليهم اسم مجموعة باكس ولهذه المجموعة مطالب وآراء ، وتشترك في المناقشات وتثير الأزمات داخل البرلمان عند مناقشة الموضوعات المتعلقة بالدين ، وكان اهمها علاقة الدولة بالكنيسة وحق الكنيسة في تعليم الدين في مدارس الدولة » .

ونعرف من هذه الرسالة أن رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، لهم من القوة والصولة ما يطاولون به سلطان الدولة ويصاولونها حتى تلجأ لأن تجرى الاتصالات بينها وبين الكنيسة لتحقق ما يسمونه : «التعايش السلمي» بين الاثنين ، بحيث تهتم الكنيسة بالتعاليم الدينية ، بينما تتولى الدولة مسئولية توفير الكساء والغذاء والمسكن وتضع خطط الانتاج وترسم صورة المستقبل للشعب ، بعيدا عن تأثير الكنيسة التي تريد أن تزيد من عدد المؤمنين بالدين ، مما قد يؤثر على مدى اعتناق الشباب الجديد للماركسية ، والتجائه الى الكنيسة وتعاليمها بعيدا عن الحزب الشيوعي .

ونعرف من هذه الرسالة أيضا أن رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، لهم من القوة والجاه وعلو الكلمة والمكانة مايستطيعون به أن يثيروا الازمات مع الدولة ، كتلك التي حدثت بين الكنيسة والدولة عندما عارضت تلك تحديد النسل واعلن الكاردينال تشنيسكي أن التحديد يتعارض وتعاليم الكنيسة ، وكانت الدولة تطالب بتحديده ، واستطاعت فعلا أن تهبط بنسبته الى ١٩٪ وعادت فسمحت الآن بزيادة المواليد زيادة معقولة .

ونعرف من هذه الرسالة أيضا أن رجال الدين ، في تلك الدولة الشيوعية ، قد ترك لهم نشاط يباشرونه وتوجيه للشباب يزاولونه ويقومون عليه ، فالكنيسة تبدى اهتماما خاصا بالشباب ، وتتولى بث التعاليم الدينية فيه منذ الطفولة ، حتى يظل مؤمنا بالدين بعيدا عن التيار اللاديني . ثم نعرف ان الدولة نفسها تخشى رجال الدين هؤلاء وتخشى ان « تمتد سلطة الكنيسة الى كل الشباب حتى تسيطر على تفكيرهم وتبتعد بهم عن التعاليم الماركسية » .

هذا عن احدى الدول الشيوعية ، بولندا ، ثم نجد دولة أخرى مثلها ، هي المانيا الشرقية ، تطلب الى سكانها جميعا : « سبعة عشر مليونا » ، ان يفصح كل واحد منهم — في احصاء التعداد — عن مذهبه الديني وعقيدته .

ثم نعرف ، عند زيارة رئيس هذه الدولة للقاهرة أواخر شهر فبراير ، أن حكومتها تعيد ترميم الكنائس التي هدمتها الحرب الأخيرة — وهي ١٠٩٠ — وأنها اعادت بالفعل ترميم تسعمائة منها ، وأنها تنفق في هذا السبيل مليون دولار كل سنة .

ونحن نعرف ان هذا الكلام وهذه الأرقام قد يراد بها امور أخرى مما يدخل في شئون السياسة والمنفعة والسمعة الحسنة بين الشعوب . ولكن التحدث بهذا الكلام وذكر هذه الأرقام هو في ذاته اعتراف بقوة الدين والعقيدة وأن سطوتهما ما تزال باقية عميقة في قلوب الناس ، حتى لو كان اعترافا يقوله قائله وهو عليه مجبر مقهور .

وهذا ما نريد أن نقوله عن التحول الاشتراكي الجديد ، حيال العقيدة والدين ، لا نريد أن نقوله فقط ، بل نريد أن ندرك مغزاه ويدركه معنا المشتغلون بشئون الدين والعقيدة .

ولكي ندرك معنى هذا التحول ومداه يجب ان نذكر موقف « المذهب » الشيوعي حيال الدين والعقيدة ، واين يضعهما هذا المذهب الذي يقول عن الدين ، كل دين ، انه « أفيون الشعوب » ، وانه يعلم الناس القناعة والتخاذل والصبر على المهانة والذل ويلهيهم بالغائب عن الحاضر . هذا المذهب الذي ينكر — كما يصور المرحوم الأستاذ العقاد : « ينكر الأديان ويكفر بجميع الأنبياء والرسل ، ولا يدع أصحابه هذه الحقيقة للفرض والاستنتاج بل يصرحون بعقيدتهم ويقولون عن الدين « انه أفيون الشعوب » ، لانه يخدر اتباعه بالأمل في الآخرة فلا يطلبون الانصاف ولا النعيم في هذه الدنيا . وهم يسوون بين الأديان جميعا في هذه الصفة .. الا أن الشيوعية قد تصبر على المسيحية ولا تطيق الصبر على الاسلام الا ريثما تتحفز له وتغل أيدى أتباعه

عن المقاومة ... لهذا وصفوه فى دائرة المعارف الشيوعية بالرجعية وتأييد الاستغلال وحاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية » .

هذا هو رأى « المذهب » ودعاته السابقون واللاحقون فى العقيدة والدين ، وهذا الذى رأينا مثلا منه فى بولندا والمانيا الشرقية هو التحول الذى نجده فى التطبيق . وقد رأينا مثلا آخر فى تركيا الكمالية التى كان زعيمها وأبوها : « أتاتورك » يقول عن الاسلام والحروف العربية وثقافتها انها : « ريح الصحراء » الذى يجب أن يطارد ويطرد حتى تتطهر منه سهول تركيا وجبالها ووديانها ومياهها أيضا .

وليست هذه ولا تلك أول المحن التى امتحنت بها العقيدة ، فقد لقيت ـ منذ وجدت ـ محنا قاتلة طاحنة ولكن هذه المحنة التى تلقاها فى عصرنا هذا هى أقسى المحن وأشدها هولا وأقواها عنفوانا وبطشا ، ولو أنها تتحول وتتلون وتميل ، تحت ضغط الظروف والملابسات والمصالح .

ما الذى يفيده ، أو يجب أن يفيده ، من هذا التحول رجل الفكر الدينى من المشتغلين بشئون الدين والعقيدة المخلصين لهما ؟

بعض القوم من رجال هذا الفكر الدينى يعلنون فرحهم بهذا التحول وغبطتهم لحدوثه ، ولكنه فرح السذاجة والغرارة الذى لا نرضاه لأنفسنا ولا لهم ولا العقيدة والفكر الدينى .

نحن لا نريد ولا نرضى لأنفسنا ولا لأصحاب الفكر الدينى والعقيدة أن يكون تقبلهم لهذا التحول الجديد واهتمامهم به قائما على الرضى العاطفى واعلان الغبطة والسرور بأن هذا الخصم العنيد الشرير قد بدا يعترف للدين بما له من القوة فى قلوب الناس ، وأنه « فطرة » فى طبائعهم لا يمكن أن تزول أو تحول .

نريد من القوم أن يدركوا أن هذا « التحول الجديد » قد يكون سببه ـ كما أسلفت القول ـ المنافع والمصالح التى تحمل « أصحاب المذهب » ، الذى لايحيدون عنه شعرة ، على أن يتحولوا ويتلونوا ويميلوا تحت ضغط الظروف والمصالح والملابسات ، ولكن الهدف لا يتغير ولا يغيب عن الخاطر ، والنهاية ـ فى ظنهم وتقديرهم ـ لا بد من بلوغها ولو طال السفر .

نريد منهم أن يذكروا أن كل محنة تعرضت لها العقيدة تركت أثرا واضحا فى نفوس الناس ، وبخاصة الشباب ، وهذا ما تعرفه من عبرة التاريخ حين تعرضت العقيدة الاسلامية لمحنة الشعوبية والالحاد فى الدولة العباسية والفاطمية ، وحين تعرضت العقيدة المسيحية لمحنة « عصر العقل » ثم لمحنة الثورة الفرنسية وطوفانها وطغيانها فى أواخر القرن الثامن عشر .

نريد من القوم أن يتركوا الفاقهين منهم ليعملوا على لأم هذه الجروح التى خلفتها هذه المحن وأن « يستردوا الأرض التى فقدوها » كما يقول العسكريون .

السبيل الى مداواة هذه العلة ولأم هذه الجروح هو أن يدرج الفكر الدينى موقفه من الحياة والعصر والناس ، وأن يؤمن ، عن اقتناع وتسليم ، أن الله خلق « السبت للانسان وليس الانسان للسبت » كما تقول آية الانجيل ، وأن الشارع قصد من الشريعة « مصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معه حيثما دار ، فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كان فيه مصلحة جاز » كما يقول الشاطبى » .

وأن يدرك هذا الفكر ويؤمن ويعمل على أن تكون العقيدة حقيقة وجوهرا وخلقا وضميرا يسيطر على نفس كل فرد من الناس ، ويهيمن على كل خاطرة له وكل حركة منه ، ووازعا يزجره عن كل سيئة ويدعوه الى كل حسنة . حقيقة وجوهرا يمتلىء بها قلب كل فرد حتى يشعر فى كل لحظة أنه يعبد الله كأنه يراه ، فان لم يكن يراه فان الله يراه » .

عند ذلك يسترد الدين «مافقد من الارض» ويفيد ويفيد أهله أيضا ـ من هذا التحول الجديد الذى لحصنا الآن بعض خبره .

« محمود الشرقاوى »

سياسة عمر الادارية

بقلم
فتحى عثمان

(٧)

من كلمات عمر الجامعة التى تقرر أصول المسئولية الادارية أنه كان يشيع الولاة فيقول :

« انى لم استعملكم على امة محمد على اشعارهم ولا على ابشارهم ، انما استعملتكم عليهم لتقيموا لهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وانى لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم . لا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنهــا فتحرموهــا .. **وكان يقتص من عمـــاله ، واذا شكى اليه عامل جمع بينه وبين من شكاه فان صح عليه امر يجب أخذه به أخذه به** ولقد قال له عمرو بن العاص يوما : أرأيتك ان كان رجل من أفراد المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته ، انك لتقصه منه ؟؟ قال : أى والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟؟ ألا **لا تضربوا المسـلمين فتذلوهم ، ولا تجمـروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .** »

بل لقد روى عمر أنه كان اذا استعمل عاملا كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس . وروى أن عمر كان يسير يوما فى احدى طرقات المدينـــة فسمع رجلا يقول : الله يا عمر تستعمل من يخون ويقول ليس على شىء وعامله يفعل كذا !! فارسل الى هذا العامل - وروى انه عياض بن غنم - واعطاه جبة صــوف وغنما ليـذكره بحرفة الرعى ، وكأنه يصرفه عن الولاية ويعيده راعيا كما كان !! ومازال به يعتقه ، ثم اشترط عليه ألا يلبس رقيقا ولايركب برذونا . ونقل الى عمر أن سعد بن أبى وقاص اتخذ منزلا بالكوفة جعل له بابا حتى يحجز عنه ضوضاء السوق ، وانه قال لأحد رجاله «سكن عنى الصوت» وان الناس أسموه « قصر ســعد » فدعا بمحمد بن مسلمة ، وقال له : اعمد الى القصر حتى تحرق بابه ثم ترجــع عــودك على بدئك ، وكتب الى سعد : « ولا تجعل القصر بابا تمنــع الناس من دخوله ، وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت » .

وكان الوفد اذا قدموا على عمر سالهم عن اميرهم فيقولون خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم؟ هل يعود العبد ؟ كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه؟ فان قالوا لخصلة منها : لا ، عزله !

ونحن نقرأ مثلا أن **عمر عزل عمار بن ياسر عن ولاية**

الكوفة . ولكنا نجد أن عمر لايفعل ذلك حتى يختبر واليه ويفحص دعاوى الشاكين منه • فقد ولى عمارا متطلعا الى أن يحقق ماورد في قول الله « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين • ونمكن لهم فى الارض » وكتب الى أهل الكوفة : انى بعثت اليكم عمار بن ياسر اميرا وجعلت عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ووليت حذيفة بن اليمان ماسقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى • وفى رواية انه دعاهم الى التعلم من عمار وابن مسعود وقال لهم « وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى » !! وهكذا كان لا يميز عمر فى التولية بين يمين ويسار – ان صح هذا التقسيم أصلا – وتولى عمار الكوفة وكانت اليه الاحداث وكان ابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الارض وجباية الخراج ، وتولى شريح القضاء فشكا اهل الكوفة عمارا وقالوا عنه : « انه لا يدرى علام بعثته » !! ، « انه ليس بامير ولا يحتمل ما هو فيه » وقال جرير بن عبد الله عنه « هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة» ••• ونزا به اهل الكوفة ، فكتب عمر اليه ان اقبل ، فخرج بوفد من أهل الكوفة ، « ووفد رجالا ممن يرى انهم معه وكانوا أشد عليه مما تخلف واخذ عمر يسأله عن أحوال ولايته ونواحيها الهامة ونشاطها الاقتصادى ، وعن منازل العرب فيها ، ولما لم يحسن واليه الجواب عزله وقال عمار « والله ما سرنى حين استعملت ، وقد ساءنى حين عزلت »!

وقد تتابعت شكوى أهل الكوفة ضد الولاة حتى تحير عمر وقال : أقوى مشدد أحب اليكم ام ضعيف مؤمن ؟؟ أهل الكوفة قد عضلونى ، وأى نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم امير !! ويروى أن المغيرة بن شعبة قد ابدى لعمر **رايه فقال : ان الضعيف المسلم ضعفه عليه وعلى المسلمين وفضله له ، واما القوى المشدد فقوته لك وللمسلمين وشداده عليه وله** • وهو رأى رشيد من جانب المغيرة ، فما فى كل موضع يقدم الاخلاص على الكفاءة !!

هذه سيرة عمر مع عماله فكيف يورد الكاتب ما أورده عن عزل سلمان الفارسي الذى « كون نقابات للصناع ، وحاول التجار والأغنياء استمالته اليهم فلم يوفقوا ، ثم بدأوا يحاربونه حربا صريحة لايعقل ان تحدث الا اذا كان هو من جانبه قد اتخذ من الاجراءات الادارية ما عدد مصالحهم فعلا •• » !

وعجيب أن يمضى الكاتب فى استنتاجاته الى الحد الذى يكتب معه « ويبدو أنه لم يكن من السهل اسقاطه محليا ، وليس لهذا تفسير الا أنه كان يتمتع بشعبية واسعة فى ولايته ، اذ أنهم ذهبوا وفدا الى مقر الخلافة فى المدينة فقابلوا عمر ورفعوا اليه شكواهم ، وعلى الفور عزل عمر سلمان ••• »

فكيف والله كان يمكن اسقاط والى الكوفة الذى عينه الخليفة محليا ؟ وهل كان هناك من سبيل الا أن يصدر قرار العزل ممن أصدر قرار الولاية ؟ ؟ أم ترى أصبحت الكوفة دولة مستقلة أو فيدرالية يعزل شعبها حاكمها ويولى من يشاء ؟؟

ويوغل الكاتب فى استنتاجاته أكثر فأكثر : « ومن المؤكد أن هذا العزل أثار جدلا عنيفا بين حزب اليسار وعمر ، ولكن عمر لم يغير موقفه ولم يتخذ اليسار اى خطوة عنيفة ليلغى هذا العزل••» !

وهكذا يدأب الكاتب على بناء « فروض » بعضها فوق بعض ، ولا يرتكز هذا الصرح الشامخ من الافتراضات والاستنتاجات الا على واقعة معتسفة او ممسوخة أو واهنة ••• وبعد أن يبلغ بنا الكاتب قمة الصرح ، يعود لشبر خطفا الى الأساس المزعوم « ، ومن الغريب أننا سنجد ولاية سلمان وعزله قليلة الورود فى كتب المؤرخين ، ولن نجدها الا فى متفرقات قليلة ، وكان هذا التجاهل عن عمد وتدبير » !!

ولقد شقيت مع الكاتب كلمات « كان » و « لعل » و « من الأرجح » و « من المؤكد » ••• الى آخر التعبيرات التى تسعها لغة الاحتمال فى شتى مدارجها والتى ينفث خلالها الكاتب مايريد ، لتتداخل وتختلط الوقائع والفروض ، ويتيه القارىء فى هذا الزحام !!

يقول الدكتور طه حسين عن عمر :

« ... كان لا يولى عاملا من عماله على الأمصار الا راعى فى توليته رضا الله أولا ومصلحة المسلمين بعد ذلك . **وكان يختار لولاية الأمصار أولى القوة والكفاية وان كانوا من الذين اسلموا باخرة** ، ويترك الأكابر من أصحاب النبى ، فلما كلم فى ذلك قال : أكره أن أدنسهم بالعمل ، وهو لم يقل هذا الا ايثارا للرد الحسن ، فأما حقيقة الامر فهو أنه كان يخاف على اكابر أصحاب النبى من أن يفتتنوا أو يفتنوا الناس ، ولذلك لم يولهم الأمصار ، اذا استثنينا سعدا حين ولاه حرب الفرس ، وأبا عبيدة حين ولاه حرب الشام ، وانما كان يمنعهم أيضا من الخروج الى الأمصار مخافة الفتنة عليهم أو الافتتان بهم ، بل كان يمنع قريشا من الانتشار فى الارض مخافة أن تفتنهم الحياة الدنيا ، وقال يوما فى بعض خطبه : الا وان قريشا يريدون ان يجعلوا مال الله دولة بينهم ، أما وابن الخطاب حى فلا ، الا وانى قائم لهم بحرة المدينة فآخذ بحجزهم أن يتهافتوا فى النار !! وكان بعض أكابر الصحابة يستأذنونه فى الخروج للمشاركة فى الجهاد فيأبى عليهم ويقول لمن يستأذنه فى ذلك : قد كان لك من الغزو مع رسول الله ما يجزئك . وولى مرة عمار ابن ياسر على الكوفة فشكا أهل الكوفة منه ، وكان أهل الكوفة كثيرا ما يشكون من ولاتهم حتى أتعبوا عمر، ولكنهم حين شكوا من عمار رحمه الله قالوا : انه لايعرف ما يلى ، فدعاه عمر وساله عما يلى ، فلم يحسن الجواب فعزله ... وقال عمر ما معناه : أردت أن أحقق قول الله عز وجل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمةونجعلهم الوارثين) . ومن أجل ذكره لله وخوفه من عذابه ونصحه للمسلمين كان يراقب ولاته أشد المراقبة ولا يكاد يبلغه شيء من أمرهم يثير فى نفسه شكا الا أرسل من فوره من يحقق ما بلغه ويصلحه ان كان قد وقع ، وربما دعاه ذلك الى عزل الوالى . **وكان كثيرا ما يردد أنه يخشى أن يظلم بعض ولاته أحدا من الرعية ، ولا يستطيع المظلوم أن يرفع اليه شكاته ، وكان يؤمن بان أى ظلم يقع من ولاته ثم لايجد هو فى اصلاحه فهو الظالم** . وكان كثيرا ما يقول للرعية اذا رآهم فى المدينة أو فى موسم الحج : انى لم أرسل عمال عليكم ليظلموكم أو يضربوا أبشاركم ، وانما أرسلتهم ليعلموكم دينكم ويقسموا فيئكم بينكم . وكان لا يمل التشديد على ولاته فى **انصاف الرعية والرفق بالمسلمين** وحمايتهم من كل ما يسوؤهم . **وكان شديد الحرص على مال المسلمين** ، يصونه من نفسه أولا فلا يأخذ منه الا قوته وقوت أهله وكسوته حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ ، **ويصونه من عماله فيراقبهم فى انفاق المال أشد المراقبة وأضيقها** . وقد رأيت ما فعله بخالد بن الوليد ، والقاعدة التى وضعها لنفسه ، **فكان لا يولى عاملا الا كتب ماله قبل أن يذهب الى مصره ، فاذا عاد معزولا حاسبه، فان وجد فى ماله زيادة غير مقبولة قاسمه ماله** . وقد رأيت انه قاسم سعد بن أبى وقاص حين عزله عن الكوفة ، وقاسم أبا هريرة حين عزله عن البحرين ، وقاسم غيرهما من ولاته الذين لم يرض عن كسبهم وسيرتهم فى المال » . وكان عمر يلقى الولاة فى الموسم من كل عام ، ويلقى معهم الحجيج من كل مصر ، فيسأل الولاة عن الرعية ، ويسأل الحجيج عن سيرة الولاة فيهم ، ولكن هذا كله لم يكن يكفيه فكان حريصا على أن يطمئن بنفسه على سيرة الولاة وسيرة الرعية جميعا . ولم تتح له هذه الزيارات التى كان يزمعها ويحرص عليها أشد الحرص ، شغلته الاحداث ومراقبة الحرب فى بلاد الفرس حتى اختطفته المنية اختطافا .. وكان يجعل الى جانب كل وال رجلا آخر يتولى بيت المال فى المصر ... وكان أصحاب بيوت الاموال حراصا أشد الحرص على الدقة كل الدقة فى أمر ما عندهم من الاموال وفى أداء حسابها الى أمير المؤمنين بحيث يستطيع عمر أن يقف على كل شيء ، وأن يحاسب الولاة على ما أنفقوا وعلى ما اكتسبوه » « كان على ذلك يحج بالناس فى كل موسم ــ ما عدا السنة الاولى لخلافته ، وكان اذا خرج للحج تقدم الى ولاته أن يوافوه كل على رأس من يحج من مصره فكان ذلك يتيح لعمر أن يلقى الولاة ويلقى وفود الرعية ، فيسأل الولاة عن رعيتهم ويسأل الرعية عن ولاتهم ... »

« فتحى عثمان »

(للبحث بقية)

أبعاد المعركة

للدكتور : نجيب الكيلاني

هذه المعركة الفكرية التي يثار غبارها على صفحات مجلاتنا المختلفة ، والتي شاركت فيها مجلة «الرسالة» بنصيب كبير ٠٠ وهذه الصراعات العنيفة التي تتناثر رذاذها في كل أنحاء العالم العربي.. وهذه المناقشات المحتدمة التي تخطت صفحات المجلات والجرائد الى المجالس الأدبية ، والندوات الفكرية ٠٠ ماذا وراءها وماذا وراء كل هذه الضجة الكبرى ؟ وما حقيقة تلك الخلافات الناشبة ؟

قد يقول قائل : ما جدوى الخلاف ونحن أمة ثارت ، وكشفت عن مرارة واقعها ، وضياع ماضيها، وروعة غدها المأمول ، واستطاعت أن تحدد معالم الطريق الجديد ، وأن تخطط الميثاق الذى تسير على هديه ، وأن تبرز بين سطوره أصل سقمها وعللها ، وأن تضع يدها على العلاج الناجع ؟؟

والذى لا شك فيه هو أن تبادل الآراء دلالة حيوية وحركة ، وليس معوقا فى أغلب الأحيان ، ولو صدقت النيات ، وصفت القلوب من الشوائب والزيغ والهوى والانحراف ، لآتت هذه المناقشات أكلها ولكانت أداة بناء لا هدم وتحطيم ٠٠

والمعركة الدائرة ليست جديدة ، فهى قائمة منذ أن بزغت فى الأفق بشائر النهضة الحديثة ، ومنذ أن أفاقت الشعوب العربية من ركودها فرات الاستعمار – سياسيا وعسكريا وفكريا – يجثم على صدرها ٠٠ وكانت أخطر الدعوات التى انبثقت آنذاك تلك الدعوة التى آمنت أنه لا خلاص من الاستعمار والتخلف الا بنفس الأسلحة التى قهرنا بها الأعداء ، وبالانكباب على الحضارة الغربية بصالحها وطالحها (كذا) ٠٠ ولقد ضمت هذه الدعوة المنهورة بين ثناياها حربا عنيفة على الاديان عامة ، والاسلام خاصة ، واعتبرت القيم الروحية ضربا من التخلف والرجعية ، وحاولت أن تتصيد بعض الاخطاء التاريخية (الفردية) لتؤيد وجهة نظرها، مستشهدة بما دسه غلاة المستشرقين من أحقاد وسموم، وكانت الوقفات الكبرى التى وقفها جمال الدين الافغانى والكواكبى واقبال والشيخ محمد عبده وقفات خالدة مشرقة ، اذ استطاع هؤلاء المصلحون الثوريون أن يحموا حركة التحرر من الانحراف والارتماء فى أحضان التحلل والاباحية فلم تندفع أمتنا العربية فى التيار الذى قضى على شخصية تركيا التاريخية ودينها الحنيف ، بل اعتصمت شعوبنا بقيمها الروحية ، وظلت تناضل من أجل حقها فى الحياة الكريمة ، مؤمنة بتراثها ومبادئها الاصيلة ، مستمدة منها زادها الروحى ، ومثلها القويمة ، دون أن تتقاعس عن اللحاق بركب الحضارة العلمية الأوربية.

وهكذا لم تقم ثوراتنا على أكتاف طائفة من المتفرنجين أو الملاحدة أو تلامذة غلاة المستشرقين، بل حمل لواءها رجال تميزوا « بالتوازن النفسى » ، والوازع الخلقى ، والنخوة العربية الأصيلة ، رجال لم تغرقهم ثقافات ضالة ، ولا فلسفات منحرفة منحلة ، رجال استوعبوا تاريخهم وتراثهم المجيد ، وجذور حضارتهم الخالدة ، ورجال قاسوا وتعذبوا وعاشوا مأساة شعبهم الكبير بكل فصولها التعسة ٠٠ على أكتاف هؤلاء قامت الثورة ، وثبتت دعائمها، وارتفع ميثاقها كقمة شاعقة ، وامتدت معاركها فى كافة الانحاء معلنة ميلاد يوم جديد ٠٠ حيث لا تبعية

لأحد ، ولا زحف خلف فلسفات غريبة مارقة ، ولا ضياع فى مهامه التمزق واللاانتماء والأحزان ٠٠

والغريب أن هؤلاء «الذيول» الذين اثاروا الكثير من الضجيج، وقدموا التافه من الاعمال، كانوا يملأون أعمدة الصحف والمجلات بالعبارات الطنانة ، والأناشيد الثورية الجوفاء ، يصدق على كل واحد منهم صفة « كذاب زفة » ، ان ما يقولونه هو ٠٠ هو ٠٠ ولم يتغير، قد يخرسهم الجبن ، أو تكمم افواههم ارادة الشعب الغالبة ٠٠ الشعب المؤمن اليقظ المكافح الذى يسكن الريف منه حوالى سبعين فى المائة، يعيشون عيشة الصبر والانتاج والايمان ، لكن هؤلاء «الذيول» يهبون من آن لآخر هبة المسعورين ، فيبعثرون لعناتهم هنا وهناك، ويتهمون كل من واجه أكاذيبهم وتضليلهم بتهمة «الرجعية» ٠٠ فمن يكون هؤلاء الرجعيون ؟

هل هم أولئك الذين تمسكوا بتراثهم وقيمهم الروحية ، مع مسايرتهم لركب الحضارة العلمية فى كافة انحاء الارض ؟

هل هم أولئك الذين أبوا أن يضحوا بلغتهم العريقة الأصيلة ، أو يستبدلوا بحروفها أحرفا لاتينية ، أو يضيعوا تراثهم فى آبار اللهجات المحلية المتعددة ، أو يفرضوا على أنفسهم ذلك الانعزال اللغوى ، ابان صيحة الحرية والوحدة العربية ؟؟ هل هم أولئك الذين آمنوا بالميثاق نصا وروحا ، حين قرر « حتمية الحل الاشتراكى » ، وقرر الى جواره ضرورة الايمان بالقيم الروحية ، والحفاظ على الشخصية العربية بكل مقوماتها وسماتها ؟

أم يا ترى لا بد ان نكون « سارتريين » أو « ماركسيين » ، أو « لامعقوليين » ، حتى نبعد عن أنفسنا تهمة الرجعية ؟

لهذا أقولها واضحة صريحة بلا غموض ٠

اننا عرب ٠٠ اشتراكيون ٠٠ مؤمنون

هذه هى عقيدتنا دون لف أو دوران ، لا نعيش فى « مدينة بلا قلب » ، بل نحيا وسط أمة خالدة ، حية القلب ، يقظة الوجدان ، حيث لا ضياع ولا تمزق ولا انتفاضات محمومين معذبين ، لم نذب بحثا عن صخرة النجاة البعيدة المجهولة ، واننا نعرف طريقنا جيدا ، وعيوننا من قديم على صخرة النجاة التى ضلت أبصاركم وبصائركم عن العثور عليها ٠٠

هذه هى عقيدتنا التى لن تنصرف عنها مهما أثرتم من حولنا الشبهات ، وملأتم الأفق عواء وافتراء وتشويها للحقائق الناصعة ٠٠

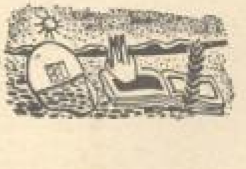
لكن الذى آسف له ، هو أن تظل أقلامكم تنهش اعراض تراثنا وقيمنا الغالية من فوق المنابر فى بعض الصحف ٠

ولكى تتضح ابعاد المعركة يجب أن تقولوا : **من انتم ؟**

لأننا قلنا من نحن ٠٠

وأخيرا ٠٠ يجب أن تفهموا أننا على أبواب معركة فاصلة بيننا وبين الصهيونية والاستعمار ٠٠ وهذه المعركة لا تجدى فيها شقشقة لسان ٠٠٠ معركة تحتاج الى أنفاس طويلة لا الى أنفاس قصيرة لاهثة أشبه ما تكون بأنات الشعر الحديث وتفعيلاته ٠٠

« د ٠ نجيب الكيلانى »



خواطر علي

أطلق شراعك أضواء وألحانا ... واخفق على الموج يا ابن الموج سكرانا
وابعث أغانيك يا ملاح ساجية ... كالناى بثا ، وكالناقوس اشجانا
أما ترى الليل مزهوا يضاحكنا ... كأنه الفجر لما عاد يقظانا
مابين عينيه أضواء ملونة ... ترافص الأفق السحرى جذلانا
وتوقظ النجم طفلا فى مراقده ... يجر من ثوبه الفضى اردانا

●

ملاح ، ياابن الهوى الممراح ، ياوترا ... يرف للناس لحن الحب ظمآنا
أنا نشاوى الهوى ، لكن واحدنا ... يطوى الليالى اسى ، والعمر احزانا
فاغنم من الدهر لذات يجود بها ... فالدهر بعد غد يوليك حرمانا
واستضحك الموج صداحا بقافية ... ياطالما صاغها المجداف الحانا

●

يابلبل الماء يحدو كل صارية ... بجناحها المائج الهدار غضبانا
أما ترى النهر منسابا يرف لنا ... أحلى تراليمه الولهى كنجوانا
اذا تماوج هز الطير أرغنه ... ورنح الدوح أغصانا وسيقانا
وان تنفس فى الآفاق طرزها ... زنابقا وازاهيرا وريحانا
ينساب كالعاشق المضنى على مهل ... آنا ، ويرقص فى أمواجه آنا
ويستحم عليه البدر زنبقة ... بيضاء ، قد فتحت للفجر أجفانا
وتستفيق له الأحلام أشرعة ... رفافة ، يجتليها النور ألوانا
وان ترنح فيه الضوء تحسبه ... يذكى بأعماقه للشوق نيرانا

●

يا نهر دجلة ، يا طيبا ، ونبع شذى ... للمجد ، يا طافحا بالوجد شطآنا
يا همسة فى ضمير الليل ، يرشفها ... فم الدجى خمرة ، ما قاربت حانا
لأنت نبع من الالهام ، منطلق ، ... يفوح منه الأريج الطلق وسنانا
لولاك ، بغداد ما ازدانت مرابعها ... ولا ترنح فيها الليل سكرانا
ولا ازدهت ضفة خضراء ساجية ... يجوبها الناس سمارا وندمانا
ولا ارتوت شفة ظمآى ، تحن الى ... كأس ، ولا هدهد العشاق اشجانا

●

غنيت دنياك ، اذ أغنيت دنيانا ... وشدت باسمك اسرارا واعلانا
وطفت بى عالم الذكرى أخا مرح ... لما لمحت على شطيك ذكرانا
وجبت مسراك ، أستوحى مرابعه ... خضرا ، واستنزل الآيات فنانا
فلحت لى مزبدا غضبان مقتحما ... تزحزح الصخر آساسا واركانا
تطوى الشعاب الى البطحاء ، منبجسا ... نيرا ، يبدد فى الأغوار خسرانا
يحفك النخل مزهوا بخضرته ... مرنحا ، ألبسته الشمس تيجانا

دجلة

للشاعر: محمد جميل شلش

من كل باسقة عذراء سافرة   تستاف من خمرك السلسال ألوانا
وكل حالية ، ودت بأذرعها   لو عانقت منك أمواجا وشطآنا
أزرت مفاتنها بالغيد اذ برزت   خضراء حالية بالطلع ريانا

●

يا واهب الغابر النائي بسلسله   عيشا رخيا ، وابداعا وسلطانا
ومنبت الخير أنى سرت في بلد   لولاك اقفر أمصارا وبلدانا
يا نهر ، يا مشرقا غيثا على الحق   بالمجد اشرق أجيالا وأزمانا
وجارفا من كنوز المال طامية   سمراء ، تحسبها الأنظار عقيانا
لو قد عرفناك ٠٠ لونت الحياة لنا   وصغتها روضة تزهو وبستانا

●

قدست فيك حمى ، لذنا بجنته   في غابر المجد أحبابا وخلانا
أيام رفت على الدنيا مصفقة   راياتنا ، واعتلت عزما سرايانا
ما فرقتنا العوادي ، يوم صيرنا   الايمان بالوحدة الشماء بنيانا
ولا تنزت حنايانا لأخوتنا   كرها ، ولا انفجرت حقدا وأضغانا
قوم ، تفانوا على الاخلاص ، واتخذوا   من المحبة الجيلا وقرآنا
ان ضج في الشام مظلوم أخو شرف   هبت له مصر أنصارا وأعوانا
وان شكا النيل في أرزائه بردى   واستنجد الشيب يوم الروع شبانا
ضج العراق حميات مضرمة   حمرا ، كما هيج البركان بركانا
واليوم ٠٠ تسطو يد الجاني ، فنسلمها   يد الوئام على أجدات قتلانا
يا نهرنا ، كم يهيج الذكر من شجن   قلبا ، تناءت به ذكراك أشجانا
اني نظرت الى دنياك زاهية   خضراء ، يعبق منها الطهر زهوانا
وعدت أنظر دنيانا ممزقة   يرعى بها البغي آنا ، والضنى آنا
يا نهرنا ٠٠ عفو آلامي اذا طفحت   وأجهشت بالدم القاني لبلوانا
ما كان نبذ التآخي من طبائعنا   ولا الضنى والتراخي من سجايانا
لكن ، أضعنا حياة العز مشرقة   فضاع نور اباء من محيانا

●

يا نهر ، قد قيل : كان الشرق يجمعنا   والنصر يحضننا ، والمجد يغشانا
وقيل : كان المثنى في مرابعنا   يطوى العراق على رايات شيبانا
وخالد الفتح يزجيها مرفرفة   عبر الجزيرة راياته وفرسانا
ويطلق السمر في الصحراء تحسبهم   « موت الفجاءة » يزجى الموت ألوانا
يسقون هذي الرمال السمر من دمهم   وينصرون ضعيف القوم ان هانا
كنا ٠٠ وكان الهدى يرعى شمائلنا   واليوم عدنا وليل الشك يرعانا

« البقية على صفحة ٦٤ »

لماذا القومية .. ولماذا الاسلام ؟

بقلم محمد جلال كشك

- ٥ -

آن ان نعود لحديثنا .. بعد ان شغلتنا عنه محاولات الذين ظنوا ان الكلمة الصادقة يمكن أن يشوش عليها بالدجل والتزييف.. أو ان صوت الحق يمكن أن يرهبه الصياح والتهديد .. او ان الابحاث الجادة يرد عليها بغير الادلة والبراهين ! .. ولعلهم نالوا درسا يردعهم ، ولعلهم يفيئون الى الحق فيفيدهم .. ومنهم نستفيد ! ..

وكنا قد وقفنا فى دراستنا : « القومية العربية والاسلام » عند السؤال الأخير فى هذه الدراسة .. وهو « لماذا القومية العربية.. ولماذا الاسلام ؟ ».. لماذا لايعيش الناس فى حضارة عالمية واحدة بلا حدود؟ بلا قوميات ، بلا أديان.. فلا اله الا العلم ، ولا وطن الا العالم كله .. بل حتى الكون !

وكنا قد تناولنا فى دراستنا هذه ، التطور التاريخى للوطن العربى كجزء من الحضارة الاسلامية .. واثبتنا ان وقوع هذا الوطن تحت الحكم العثمانى ، كان ضرورة تاريخية مبعثها الخطر الصليبى .. أو « غزو الفرنج » .. الذى هدد باحتلال البلاد العربية بعد اكتشاف راس الرجاء الصالح والتفوق البحرى على العرب منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ..

ولم يكن أمام الوطن العربى الا أحد أمرين ، احدهما مر :

الوقوع تحت الاحتلال الافرنجى ، فتفنى عروبتها ، ويستأصل اسلامها كما جرى على الاندلس .. مأساة الاسلام الاولى ..

واما ان تستسلم لأقوى عناصر الامة الاسلامية، أى الاتراك العثمانيين ، فيذودون عن اسلامها ، ويفرضون عليها فى نفس الوقت ، كل تبعات التخلف التى يحتمها مثل هذا الحكم من مقاتلين محترفين ، هم أقوى عناصر الامة من الناحية العسكرية واقلها حظا من الحضارة !..

واختار الله لنا الحل الثانى .. وصدقت غريزة امتنا .. فقبلت هذا الحل برغم ادراكها الواعى لكل مساوىء العثمانيين ..ولكن الامم فى لحظة الاختيار بين البقاء والفناء ، لاتقف عند التفاصيل، بل ان الامم الزائلة والحضارات المنهارة هى التى تتردد ، وتفضل الجزئيات على الحل المصيرى .

ولكن أمتنا لم تتردد ، اختارت الحفاظ على اسلامها ، ولو حكمها التركى الغشوم عن أن تفنى فى حضارة جديدة مزدهرة .. ولعل ذلك ما يغيظ بعضهم ، ولعل ذلك سر الحقد الاسود على الدولة العثمانية ، لانها حفظت اسلامنا ..

على اية حال .. فلا اظن ان مجال الاختيار كان كبيرا .. لان الاستعمار فى القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر كان لا يمثل تقدما .. بل افناء وحشيا ونهبا بربريا ، واستئصالا حتى للوجود ذاته ..

ومازلت أرجو ان تتاح الفرصة لعدد من الباحثين، لدراسة جادة حول الحتمية التاريخية لتخلفنا فى مرحلة الازدهار الراسمالى .. وأميل الى القول ـ ولو كمجرد خاطر ـ ان الروح الاسلامية تتنافى مع امكانية النمو الراسمالى ، لان ذلك النظام الوحشى يتعارض مع تعاليم الاسلام وخلقه .. فهل كان من

المحتوم أن تتراجع حضارتنا ولو الى التخلف . فما كان بوسعها ان تمتص دماء الشعوب باسم الاستعمار .. لذلك تراجعت وانهارت الى أن افل نجم الرأسمالية والاستعمار ، وأشرق فجر الاشتراكية فلاحت تباشير البعث الاسلامى ؟

وقلنا انه منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر جرت محاولات ، وانتشرت امانى ، حول امكانيه قيام وحده اسلاميه او عثمانيه تمتزج فيها عناصر الدوله العثمانيه ، فى ظل نظام عصرى ودوله حديثه تصد الغزو الاستعمارى .. ولكن الامل انهار والفكرة وئدت ، لعدة اسباب ، ليس اقلها ، تمسخ القيادات التركيـه التى عملت باسم الدستور .. وتفشى العماله فيها سواء للاستعمار الاوربى ، او للصهيونيه ..وتسممهم بالفكر الغربى، والشوفينيه التركيه ، مما دفع العرب الى الانفصال والاعداد للثورة العربيه .. ولكن هذه الثورة لم تنجح،خربها الجواسيس رجال المخابرات البريطانيه والفرنسية ، والعملاء الذين تعددت شعاراتهم واختلفت ألسنتهم .. وتوحدت جهودهم فى تمزيق الوحدة العربية ومحاربة الرابطة الحقيقيه .. وهى الاسلام ..

لذلك تشوه تاريخ المنطقة ، والتوى كفاحها ، وتحطمت ثوراتها .. وانعزل المشرق عن المغرب.. وكادت مصر ان يكون لها تطورها المستقل .. حتى كانت ثورة ٢٣ يوليو ، فاعادت وضع الثورة العربية على قدميها .. واستطاع قائد الثورة ،بعد مرور عدة أيام على توليه مسئولية تحريك التاريخ، ان يبصر ببصيرته التى لم تفسدها الأغراض ولا الخيالات التى ازاغت أبصار القادة من قبله استطاع قائد ثورتنا أن يبصر الدوائر الثلاث التى يتحتم أن يتحرك فيها مصير هذه المنطقة .. فكان أول زعيم عربى بعد الحرب العالمية الأولى ، يربط بين الاسلام والعروبة ووجودنا الافريقى ..

ومن هنا نصل الى سؤالنا .. لماذا الاسلام .. لماذا القومية ؟! ..

الا يكفى للاجابة على هذا السؤال ، استخلاص عبرة من النصر الجزائرى ؟ .. وتأمل المصير المفجع للحركات التى حاولت أن تعمل فى الشرق العربى، بعيدا عن الاسلام ، فانتهت الى الافلاس .. بل الى الانتحار .. واقرب مثال لدينا ، ذلك الاعلان التاريخى ، والأول من نوعه ، واعنى به اعلان الاحزاب الشيوعية المصرية حل نفسها وتصفية نشاطها ..

لماذا ؟ ..

لألف سبب أولها أنها عجزت عن فهم الاسلام..

فماركس لم يدرس الاسلام ، وما كانت تعنيه هذه الدراسه ، لأن ينطلق من الغطرسة الغربية التى تحل مشاكل العالم من عاصمة اوروبيه ! وتؤرخ للجنس البشرى من خلال تاريخ الجنس الأبيض ! .. اما نحن فلسنا الا المجال الحيوى عند الاستعماريين ، لضمان دوران مصانعهم وازدهار حضارتهم ، أو وقودا ثوريا عند الماركسيين امجرد احتياطى يزيد اشتعال الثورة العالمية ، ويضمن دوران عجلة الثورة فى بلاد الناس الارقى ، الذين لهم وحدهم كفاءة ادارة الماكينة وأيضا الثورة !..

لذلك لم يقلق ضمير ماركس وهو يفلسف للكون ، ويضع نظرية للتاريخ البشرى .. دون ان يدرس الاسلام ، ولا حضارة الذين اتخمت بهم الحضارة ، الف عام ! ..

ومات انجلز . وهو يتمنى لو درس الاسلام .. ليفهم المسالة الشرقية ، وعلى أية حال ، فقد أثنى هو ولينين على فكرة الجامعة الاسلامية ..

ولما جابهت لينين مشكلة الشعوب الاسلامية ، فى الامبراطورية الروسية ، اكتفى بتكليف « **ستالين** » خبير القوميات عند الشيوعيين ،بوضع تقرير فيها ، سرعان ما تحول الى « الانجيل »باسم « المسالة القومية » ، نصح فيه قادة الحزب بعدم تكليف المسلمين بتربية الخنازير .. ولعل ذلك هو اقصى ما عرفه ستالين عن الاسلام !

اما خرشوف فقد اعترف امام الوفد الجزائرى وبعد ان سمع منهم شرحا فى مبادىء الاسلام .. اعترف (كما أخبرنى عضو فى الوفد) بأنه يبدو أن الاسلام يختلف عن الاديان الأخرى .. وربما كان ذلك لانه كان فى الجانب المضطهد فقد احتفظ دائما بخاصية ثورية »

لذلك حكم الماركسيون على الاسلام بالسماع ، أو بالقياس .. ناسين ان الاسلام نسيج وحده ، وان جميع الثورات فى الغرب كانت تبدا ضد

الكنيسة ، حتى يمكن ان نلخص تطور الحضـــارة الغربية فى سلسلة المعارك ضد المفاهيم الكنسية . وكانت الكنيسة دائما فى الجانب المحافظ .. بعكس الحال فى العالم الاسلامى .. اذ ان جميع الثورات والمحركات التحررية ذات طابع اسلامى ..

غفل الماركسيون عن حقيقة ان ديننا يدعو الى تغيير المنكر باليد اولا ..وان عمر بن الخطاب ينصح بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه طلحة : « هل قلت لو اعوج عزلوه » فيقول عمر : « لا .. القتل انكل لمن بعده ! »

هذا الدين لا يعتبر ثوريا من يعاديه أو يتجاهله .. كان على اى حركة سياسية تريد أن تعيش فى بلادنا أن تبدأ من الاســلام ، وان تقيم فلسفتها ـ ان كانت ثورية وطنية ـ على أسس اسلامية ..

ولكن الماركسيـة ـ **والى مدى بعيـــد ، الحركات القومية الأخرى مثل حزب البعث** ـ كان يستحيل عليها فهم دور الاسلامفى البنيان الحضارى للمنطقة..

اولا : لانهم نقلوا نظريات الغرب ،واستوردوا لنا فكرا وتحليـــلا ، كما اســـتوردوا الماكينـــات والراقصات !

والفكر الاوربى لا يعترف بالاسلام لسببين :

• ان الفكر الاوربى الثورى محتوم عليهان يبدأ برفض الاديان .. وما زالت الكنيسةهى أكبر قوة معارضة للاشتراكية فى أوربا .. ومشـــكلة الحزب الشيوعى الايطالى الآن .. هى الوصول الى تسوية مع الفاتيكان

• ان الفكر الاوربى العنصرى، المغرور لايعترف الا بوجوده ، ولا يرى فى حضارات الآخرين الا عاملا ثانويا ، ومساعدا لتطوره هو ..

ثانيا : لسبب ذاتى،هو كون قيادة هذه الحركات غير مسلمة .. فالحركات الماركسية مثلا ، كانت نسبة اليهود فى قيادتها حوالى مائة فى المائة !

كان اقصى ما تستطيعه هذه الحركات ازاء الاسلام هو احد أمرين ، اما ادراجـــه تحت شعار « أفيون الشعوب » أو توديعه بكلمة تأبينمناسبة،على أساس انه كان مرحلة على طريق التطور البشرى ، انتهى دورها ، والغاها الديالكتيك ، وها نحن قد عشنا حتى رأينا الاسلام يلغيها هى وديالكتيكها ..

هل كان بوسع يهودى ان يفهم تراث هذه الأمة ؟ ويعرف اى افتئات على قدرها ، ان يحاول الماركسيون قيادتنا بتعاليم ديمتروف البلغارى .. ونحن الذين حكمنا بلغاريا ثلاثة قرون !

العالم ينقسم الى حضارات ، متعايشة او متحاربة لكنها متمايزة ، وليس هناك ما يسمى بحضـــارة الجنس البشرى ، هناك امبراطورية عالمية ، تسعى للسيطرة على العالم فتجعل من قضيتها قضية كل الجنس البشرى ! ..

واذا كان من حق اليوت وتوينبى..بل وانطونى ناتنج أن يتحدثوا عن الحضارة الغربية المسيحية .. فنحن اولى بالحديث عن الحضارة الاسلامية .. ولا نأتى بذلك بدعة ولا عجبا .. فقد ثبتت الآن خرافة الزعم بانتهاء الاديان .. ولا سبيل لقيام أى حضارة الا بالدين .. ولا سبيل لبعث عربى الا تحت الراية المحمدية .

والاسلام هو تراثنا الروحى ، وهو رسالتنـــا الحضـــارية وهو بالذات ، رسالتنا لشعوب أفريقيا المتطلعة للتحرر والمســاواة والاخوة الانسانية ، وما من مبدأ ولا عقيدة يمنح ذلك لافريقية السوداء .. سوى الاسلام .. ونحن حملة الرسالة الاســـلامية لافريقية .. ولا نملك لها غيره !

والدين هو العقيدة الوحيدة التى يمكن اعتناقها ولا يجوز وصفالاشتراكية بالعقيدة،ولا الاشتراكيين بالعقائديين اذ ان اسوأ ما يصيب نظاما اجتماعيا ، او نظرية سياسية هو تحولهـــا الى « **عقيـدة** » فلا يخفى ان « **العقيـدة** » لا تتبـــدل ولا تتطور .. بل ويضيق فيها مجال المناقشة والخطأ والتصـــويب .. بينما النظم الاجتماعية والسياسية يجب أن تتمتع باقصى درجة من المرونة والتفاعل ،والاستجابة للنقد والاستفادة من التجربة والخطأ .

والنص علىأن الاسلام هو روح حضارتنا ، ورسالة القومية العربية ، لايعنى ان هنـــاك تفكيرا فى اقامة وحدة اســـلامية أودولة اســـلامية من الأطلس الى الفيليبين ..

لا ..

فى ظل الحضارة الاسلامية ، من الممكن ، بل ومن الضرورى أن تتعدد الدول ، وتختلف النظم ، وتتباين التجمعات القومية .. فتوجد الأمة الباكستـــانية ،

والأمة الفارسية ، والتركية ٠٠ والعربية ٠٠ وكلها امم مسلمة ٠٠ تماما كمـــا يشمل تعريف توينبي للحضارة المسيحية الغربية كلا من الدول الراسمالية والدول الشيوعية ، رغم تقاتل هذه الأمم فيما بينها٠٠

والاسلام عقيدة الغالبية العظمى من الأمة العربية والعقيدة الوحيدة للقوميات الصغرى التى تعيش معها ٠٠ وهو أيضا التراث الحضاري والثقافى للعرب غير المسلمين ، لأن العروبة بدأت مع الاسلام ، ولأن هذه الامة العربية قد تكونت خلال انتصارات الاسلام وهزائم المسلمين٠٠ولأن الحضارة المسيحية الغربية، تعادى نصارى الشرق كما تعادى المسلمين ٠٠

وقوميتنا عربية ٠٠ الا اننا لا نعترف بالمواصفات الماركسية الخمس فى تحديد القومية ولا يعنينـا مدى انطباقها علينـا ٠٠ كذلك ليست القومية العربيـــة بالحركة العنصرية ، الشوفينية ، كمـا صورتها بعض الحركات والأحزاب فى الشرق العربى ٠٠ فهى قومية انسانية متحررة لانها مسلمة ٠٠ تربطها صلات اخوة ومساواة بالقوميات غير العربية المتآخية والمتعايشة معها والتى يربطها الاســلام ، بالقومية الـكبرى ، باوثق رباط ٠٠ وهذه القوميات لهـــا كامل الحقوق القومية ٠٠ ما عدا حق الانفصــــال الذى يتنافى مع الأخوة الاسلامية ، والمصالح الحيوية ، لهذه القوميات، ومصالح الحركة التحررية لشعوب هذه المنطقة ٠٠

ويتحقق اسلامنا ، بوجود الشخصية الاسلامية ، باحياء الحضارة الاسلامية ، ؟ ببعث التراث الاسلامى، والقيم الاسلامية ؟ بتطهير الفكر من كل آثار الغزو الفكرى ، وشوائب الحضارة الغربية المسيحية ٠

واذا ما أكدنا الطابع الاسلامى لحضارتنا ، وابرزنا الجانب الانسانى والتحررى فى قوميتنا ، واستبعدنا من قاموسنا السياسى ، لفظ الشعوبية أو قصرنا استخدامه على السلوك السياسى والفـكرى المعادى للعروبة والاسلام مهما تكن جنسية صاحبه لا أن يستخدم للتعريض بالأجداد ، واحياء نظريات الدم والعرق ٠٠ فنحن أمة سلمان منا أهل البيت ٠٠ أمة سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى صحابة النبى العربى ٠٠

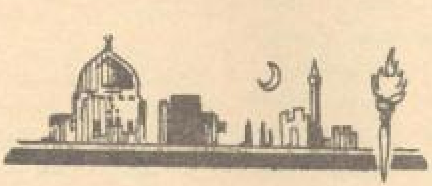
وبمثل هذا الفهم لن يثير حديثنـــا عن القوميـة العربية ، حساسية عند القوميــات الأخرى ، ولا ضير من ان تستخدم كلمة الأمة العربية للتعبير عن كل سكان المنطقة ، كما يقال أحيانا روسيا أو الاتحاد الســوفيتى ٠ والقومية العربية هى الشقيقة الكبرى، وبلسـانها قرآنهم٠٠ومنها نبيهم وقد أمروا أن يصلوا عليه ويـسلموا تسليما ٠٠ وأمرنا نحن العرب ٠٠ بأن نعطيهم مثل مالنا ، ونوجب عليهم مثل ما علينا ٠

ان العالم يقترب من مرحلة القوميات الاشتراكية فالاشتراكية ستسود معظم العــالم ٠٠ على الأقل ما يسمى بالعالم الثالث (اســـيا افريقية ـ أمريكا اللاتينية) ولكن الدولة الاشتراكية العالمية لن تقوم ، المعسكر الاشتراكى المتحد ، حديث الأمس الغابر ، وأمنية لم تعش الا بضع سنوات٠٠ستبقى القوميات لانها هى الحقيقة الباقية ، مهمـــا اختلفت النظم الاجتماعية ٠٠ والذين يفقدون وعيهـــم القومى ، ويسقطون فى شرك الاخوة الطبقية ، لا يجنــون الا ضياع أوطانهم وابادة قوميتهم ٠٠

وهل كانت سقطة الشيوعيين فى موقفهم من قضية فلسطين الا ثمرة هذا المفهــوم الخاطىء للقومية ٠٠ عندما حلموا باخوة العمـــال العـرب والاسرائيليين فخدعهم اليهود ، وســلبوا الوطن العربى ، وطردوا وشردوا العرب ، ليحاولوا هم تكوين قومية مفتعلة فوق ترابنا ، قومية لا يربطها الا الدين ! ٠٠ وثبت أن الشيوعى اليهودى أقرب للصهيونى منه الى العامل العربى ٠٠ برغم كل النظريات والشعارات ٠٠

ولن تعود فلسطين الا اذا عدنا لقوميتنا واسلامنا٠

« **محمد جلال كشك** »



حول الأدب الثورى

بقلم عبده بدوى

شاعر من فلسطين :

اذا كان هناك شعراء مارسوا الضياع والقلق والتمزق والحزن ، فان هؤلاء الشعراء لابد أن يكونوا الشعراء الفلسطينيين ، وبخاصة هؤلاء الذين خوضوا فى المأساة ، والدكت قاماتهم وهم يغادرون الارض والذكريات ، وتزلزلت أيامهم وهم يحتكون من جديد بالعالم من حولهم ، نعم فانا لا اقصد هؤلاء الذين يخرجون المناديل الهفهافة من أكمامهم ليمسحوا دموعهم ، وانما أقصد هؤلاء الذين اختنقوا برائحة البارود ، والذين ثقبوا بالرصاص ، والذين احسوا أن الاسلاك الشائكة تخترق صدورهم ، وانهم فى كل مكان يتوجهون اليه يحسون أن لحمهم وذكرياتهم وملابسهم ممزقة على هذه الأسلاك الشائكة .

ولكنهم بالرغم من هذا يحسون ان هناك شيئا لم يمت فيهم ، وانهم مع احساسهم بالفاجعة الا انهم يحسون على جبل الظلمة بخيط رفيع من النور ، وان هذا الخيط لا بد أن ينسج ببطء مع خيط آخر من حبة العين حتى يمكن أن يكسى به الوطن العريان ،

ومن هنا ينطبق عليهم قول « روبرت اودرى » فى كتاب « الأصل الافريقى » بأنهم مخلوقات الطقس السىء ، واحسن ابناء المحن ، وانهم يكونون على أحسن حال فى الوقت الذى يكونون فيه فى اسوأ الظروف .

ونحن اذا أردنا أن نشير اشارة سريعة الى واحد من هؤلاء الشعراء الذين تفجروا بالبرق ، واصطدموا بكل ذرات الكون ، وبكوا وابتسموا فى وقت واحد ، ورأتهم الحياة وهم يكتبون فى أول الأمر «**بالكاميرا**» ليصوروا المأساة من الخارج فى سرعة ، ثم رأتهم بعد ذلك يحاولون أن يطرزوا ابتسامة امل فى الوقت الذى لا تكف فيه عيونهم عن البكاء ، ثم رأتهم أخيرا تجف فى عروقهم المأساة ، ومع ذلك فهم يحملونها كجثة ، ويتحسسونها كمار .. اذا أردنا أن نحتك بواحد من هؤلاء فان وجه « **معين بسيسو** » **لابد** أن يكون أسبق هذه الوجوه التى نزفت كقطعة شمس ، وتهالكت كبرادة حديد ، والتى حملت فلسطين والدم يتدفق من جوانبها ساخنا ، ثم مازالت تحملها بعد أن توقف الدم وبردت الجثة ، وانطفأت الصبوة ، ومع ذلك فلا يستطيع أن يتخلص منها ، ومن هنا

يأتي صراخه في أول الامر ، ثم احساسه بالنفى ، وبالموت .

فنحن نرى الشاعر في مجموعته الصغيرة «المعركة» التي صدرت عام ١٩٥٢ يتكلم الى حد الصراخ ، ويتحرك الى حد السقوط ، فهو يصيح فيمن حوله الا يتركوا مكانا واحدا في السور البشرى الذي يلف الوطن الجريح ، فاذا خلا مكان فليتقدم من يستطيع ان يملأ هذا الفراغ دون ان يخشى من الدم الذي على السلاح الذي سيتسلمه ، وفي الوقت نفسه عليه أن يتذكر ان من يحمل سلاحه ـ رغم موته ـ عيناه عليه !

وهو يخشى على هؤلاء الذين ضاعت بلادهم أن يقولوا انهم غرقوا في السيل ، وأن الريح قد استطاعت أن تشق شراعهم ، وهو يحرضهم لا بالأحياء الصامدين فقط ، ولكن بالأموات كذلك :

يا أيها الموتى أفيقوا ان عهد الموت زال

فالشاعر يعرف المصير الذي آل اليه شعبه ، فهو يغطس في السيل ولكن البرق يضيء وجهه ، وهو يعرف أن شعبه يتبدد ، ولكنه يذكره بأن هناك « الرفاق » من خلفه قادمون ، ومن هنا كان عليه ان يؤجل الموت .

نعم قادمون أخى لقد ركزوا على الفجر البيارق

وهوى وراءهم الظلام الميت تأكله الحرائق !

وعليه أن ينظم عودته حتى لو كانت هذه العودة بالدمع .

ولكن خلف دجاها الكئيب تطل منازلهم والقباب

وهم يرفعون اليها العيون ولا يملكون اليها الذهاب

وهم ـ والليالى تنسى الغريب وتلقى على الذكريات الحجاب

مضوا يحفرون بدمع العيون ودمع القلوب طريق الحجاب .

فالشاعر هنا يعيش في غبار المعركة ، ولا يريد أن يصدق أن بلاده قد تضيع منه بهذه السهولة ، وهو ينقلها في صور حية نامية ليؤثر بها على قارئه ، وليدعوه الى أن يثق به وبشعبه ، ومن هنا فالشاعر لا يفتح اجفانه الا على القدر الذي يرى به الانقاض من حوله .

ولكنه في مجموعة « **الأردن على الصليب** » التي صدرت عام ١٩٥٧ ، نراه يوسع حدقتي عينيه ، ويرى أن لقضيته أبعادا في الخارج ، وفي ضوء هذا نراه يشارك في التوتر الذي يسود الأردن في هذه الفترة ، وليدين بعض الاحكام وليهز جون فوستر دلاس ، ويعتبره « المخلص الكذاب » من خلال موقف من مواقف المسيح .. ثم نراه فجأة مكسور القلب حين يرى الغزو الاسرائيلي لغزة ، وحين يرى أن الطريق اليها قد سدت في وجهه ، ثم نراه لايعود اليها الا حين يحوم الليل وفي منقاره خيط من ضياء ، ففي هذا الوقت نرى قلبه ينشر جناحيه ثم يطير ليرى كيف تقيم مدينته في قعر الجحيم ، وليرى الجدران المجروحة بالرصاص ، والمنشورات التي يستمر القاؤها ، والصدور المثقوبة .

ويهوذا ورنين الفضة الداجي الرهيب

واقف يحلم فيها بمسيح وصليب !

ثم يؤكد أن دمه لم يصدأ ، وأن الشرار الذي يندلع من هذا الدم هو « الكلمات » ، ثم يذكر أن مدينته شهر زاد ، وأن فارسها الجديد هو **جمال عبد الناصر** ، وأن الشعب مازالت بصدره لؤلؤة ، وأن في استطاعته أن يكون الفارس الذي يمتطى فرسه على الأمواج البيضاء ، وأنه من على صهوة هذا الفرس يستطيع أن يخطف بلاده ، ثم يركبها خلفه ، ولكن الحزن سرعان ما يلفه ـ وربما لأول مرة في شعره ـ والنبضة الخضراء سرعان ما تختفى من عروقه ، وفي لحظة اختفائها ينبجس خيط رفيع من الحزن يقول انه في عزلته يوقد شموع المأساة ، ويرسم الحنين لؤلؤة ، ويأمل أن يرى على رمال السهد من خلال الغيوم .. فارس القمر !!

ثم نرى الشاعر ينتقل نقلة موفقة في قصيدة ملحمية طويلة أصدرها عام ١٩٥٨ بعنوان « مارد السنابل »

وهو يروى فيها قصة الاعتداء الثلاثي ، ومن خلالها نرى أن البطل الحقيقي هو مدينة غزة ، بعد ان تتحول في شعره الى صورة انسانية يشتاق لعينيها ، وهو حريص على ان يقدمها في صورة البكارة والوفاء في الوقت نفسه ، فيقول :

● مدينتي زنبقة خضراء لم تنم على سرير فاتح

ولم تصب الزيت في مصباح خائن

ولم تهب شعورها أسلاك معتقل

ولم تقبل سوط طاغية

كجارية

.. مدينتي رأيت كيف تنسج الأمل

خطا حبيبك البطل

وكيف قد نشرت من دمائك الشراع

يمخر الحرائق !

ثم يقدمها بعد ذلك فى حالة الانكسار حين ظهرت راية العدو فى فضائها خفاقة المخالب ، وحين جلست تنتظر قدوم « البطل » .

وهو يترك عينى مدينته فترة ليطل على بورسعيد التى اصبحت شمسا من الجراح ، ثم يعود منهكا ليقول ان الشعوب لن ترضى عن هذه الجريمة المسلحة . وان هذه الشعوب لا بد أن تقبل الى مدينته ، مسرجة — فى طريقها — البحار والسحب !

ويعود الشاعر ثانية الى التحديق فى وجه مدينته ، فاذا بالجراد — وهو يعنى بهذا الرمز دائما اليهود — قد امتص نضارة المدينة، ومع هذا فالشاعر مفتون بهذا الشحوب الذى بدا على وجه غزة، ومنتظر هذا الفارس العربى المصرى بعد أن رأى مدينته ترفض أن ترمى « بخاتمه » فى خوذة الاحتلال الاسرائيلى ، وما هى الا ايام حتى يصدق الأمل ، وتظهر نجمة فلسطين على جبين **عبد الناصر** ، ونرى الشاعر يقول :

تقدمي يا مصرنا المجنحة

حمامة مسلحة !

كما نراه يلمح « طائر الحصاد » وهو يحط على الأسلاك والحدود ، فيحلم ، وهو يرى الشعوب تقيم حوله عرشا من السنابل فيهتف .

● يا اخوتى فلتفرد الخطا

على الطريق أشرعه

ولنمخر الحدود

.. ومن بعيد

ترفرف الميناء

حمامة بيضاء

ومنقارها غصن من الضياء !

والشاعر فى دواوينه هذه نراه يكتب القصيدة بشكليها ، فيوفق — لأن لديه موضوعا يقوله — فى الشكل المتجدد على طول الخط ، ولكنا نرى هذا التوفيق يكاد يختفى فى الشكل التفعيلى ماعدا تلك القصيدة الملحمية المسماة مارد من السنابل .

فبينما نراه يبنى بالصور النامية موضوعه مثلا فى قصيدة السيول فيقول :

لم يترك السيل غير الحبل والوتد

من ذلك الشعب أو من ذلك البلد

وغير بعض العرايا الساحبين على

تلك الوحول .. بقاياهم من الولد

وغير ما شاهدت عيناك من جثث

منفوخة لم تزل مجهولة العدد

هنا حطام . هنا موت . هنا غرق

هنا بقايا رغيف عالق بيد

.. تلك البقية من شعبى ومن بلدى

ما بين باك ومجنون ومرتعد

تلك البقية من شعبى فذاك أبى

وتلك أمى وما فى الحيش من أحد

ان جئت تسأل عن أطفالها صرخت

وقهقه السيل لم تحبل ولم تلد

يا من نصبت لهم سود الخيام على

صفر الرمال لقد غاصت الى الأبد..الخ

بينما نرى هذا فى مجموعة المعركة ، فاننا نفتقد عالم البناء فى بعض شعره الحر وندخل عالما مليئا بالتكرار ، والرتابة ، والخطابية ، والصور الجزئية التى تمتاز « **بالقطع الخشن** » على حد تعبير السينمائيين ، فاذا أخذنا القصيدة الرئيسية التى سميت المجموعة باسمها وهى « الاردن على الصليب » وجدناه يقول :

انا مصلوب أغرد

ولعمان ونابلس وأربد

ولفرسان المصير

ولأسماء كوارد ورشدى وشقير

لأبى نوار لم يرخ شراع السيف فى ريح الخيانة

لمواسير البنادق

وهى لم تغل وفى أيدى الجنود

وهي لم تغل ومن تقب الصدور
ثم يختم القصيدة الطويلة بقوله :
يا افاعي يا افاعي
سنصب السم يغلي وعلى جحر الأفاعي
وستمضي في الصراع
كشراع في رياح الدم نمضي كشراع
وسامضي شامخ الصوت أغرد
والملايين تغرد
ولعمان ونابلس وأربد

ولعــل مما ســاعد على هذا أنه في هذه الفترة قد تبنى الشعارات الشيوعية ، ونظر الى العالم من خــلال هذه الأيديولوجية ، واخضع قضيته لهذه النظرة ، فشعره يغص بشعارات تدور حول الفجر الأحمر ، والجياد الحمر ، وحمر الجبال ، ونجم الاصرار الأحمر ، وقمصان الدم ، وقافلة الجياع ، وأسارى الرغيف ، ونجمة البلاشفة ، ووطن الكادحين والعبيد ، وبالمطارق ، والمناجل ، والشراشر .. الخ كما نراه يقدم الحل الصيني لقضيته :

انظر الصين كيف ثارت على الموت
وفي الصين للملايين نصر
كيف هدت جدران معبدها الرحب
وفيه الاصنام بيض وصفر
ضربت موعدا له أمم الارض
فطارت به الجياد الحمر !

بل انه حين يهاجم احدى الشخصيات العربية في قصيدة « الببغاء والأفيون » لا نراه يأخذ عليه خيانة قضية فلسطين ، وانما لأنه يراه ببغاء ــ كما يقول :

طليقة بلا قفص
تنقر في الأفيون
وتشهر الجناح
كالســـلاح
لكي تحارب البلاشفة
والعاصفة
الببغاء
في الليل والنهار
في غيبوبة اسطوانة تدور
منقارها يشــــير
كما أراد أن يشير
السيد الكبير
لنجمة البلاشفة !

فاذا وصلنا الى ديوان « **فلســطين في القلب** » الصــادر عام ١٩٦٥ وجدنا الشــاعر قد نضجت تجربته ، وبخاصــة حين خرج من السجن بعد أن دخله بتهــمة الشيوعية ، وحــين أدرك أن شيوعيي المنطقة لهم رأى يخالف رأيه في قضــية فلســطين ، ونحن لا نعدم أثر هذه الهزة في نفسه في قصيدة « جزيرة الشــعارات القديمة » ففي هذه القصيدة يقول :

شاعري قد كان في تلك الجزيره
كان في حقل « الشعارات القديمه »
كان ملقى وسط رايات وأجراس طعينه
قلبه « قرص من الشهد »
وجاءته سفينه
آه لم يشعل لها « راياته » نارا
ولم يحرق « قصيده »
وبكى يسترجع « الراوى »
جراح المقطع الفاجع من تلك القصيده :
حملته ، أثقلت ظهر السفينه
أثقلته ، آه ، « صاح « الشعارات القديمه »
ألق للأسماك يا صاح « الشعارات القديمه »
ألق فالأسماك لا تقرأ
والأعماق خرساء كتومه !
« عضة الزلزال » والصحوة ياصاح
وانسام الأعاصير الجديده
والطواويس الدميمه
ريشها يسقط أشواكا صغيره

والشاعر في هــذه الفترة يحس بان الحزن قد اصبحت له كثافة ، ويحس بأنه يفقد في كل يوم شيئا مادام مصير بلاده لم يتقرر ، ففي الوقت الذى يشــير فيه الى ان خريف الأغلال قد ولى ــ ولعله يقصد السجن ــ نراه يشير في هدوء الى « العاصفة السريه » و « البرق السرى » ونراه قانعا « بكسرة الرعد » و « جرعة البرق » ، بل بنافذة صغيرة ، ثم يحس أنه يقف وحده

● فهنالك نافذة لم تصبغ
بالبرق الأسود في وطني
نافذة تذكرني
دالية تحلم بي
أن اقطفها
أن تقطفني
يا وطني من لي ؟
من لي ؟

فالشاعر وقد غمس جناحيه فى بحر الحزن ، لا يستطيع حتى ان ينفض قطرات هذا الحزن من على جناحيه ، ومن ثم نراه ينتقل الى موقف مسيحى بعنوان « كاس الخل » فينقل الينا موقف المسيح وكاس الخل فى يمينه واكليل الشوك على راسه ، ومن خلال هذا لا يقبل لنفسه ـ بعد أن كان فى ماضيه عاصفة ـ الا تجربة الصلب ، ومن اول قصيدة فى الديوان نحس أن الشاعر ينتقل من دائرة الحزن الى دائرة التعبير عن الموت ، وكثيرا ماتتكرر عنده صورة من يموت وظهره الى الحائط وعيناه معصوبتان ، وقد يتعلل الشاعر بانه مازال هناك خيط من راية يتحرك فى الريح ، او بان الفاس المدفونة فى الجدران تستيقظ ، او بانه يمكن ان تتعلق موجة بالشراع العائد ٠٠ الا ان هذه الآمال تنهار تماما كما فى « قصيدة الى الأسلاك الشائكة »

ثم ان الشاعر يتحول بعد ذلك الى « الانسان المنفى » ففى وجهه يولد شلال مرايا صفر ، وشلال مرايا سود ، ثم انه يقول :

● من اجلك احمل اغلالى

فى منفى الارض كجوال
من اجلك خبزى بدمائى
معجون ، خبزى بدمائى
والوجه المشحوذ كتاب
فى ظل غرز واشعارى

ومن حوله يحس بالانفصال والغربة ، وبخاصة فى قصيدة « الطابور » التى يظهر أنه يدين بها شيئا ما :

● عاد الطابور
والكعب الحجرية عادت
انا اسمع صيحة شباكك
تطعنه عين الطابور
تطعنه عين الذئب العطشان المسعور
وكثار القت معطفها فوق الشجر المقرور
وكموج القى معطفه فوق غريق
أوشك أن يمسك بصخور
قد القى الطابور
معطفه الحجرى
على عظم مدينتنا المكسور
من يجبر عظم مدينتنا المكسور
اين شراعك ؟
فى منقار الحداة عصفور

تمضغه والريش يطير
أعلاما ، أعلاما ، الريش يطير !

ويبلغ « النفى » قمته حين يتصور نفسه مصلوبا يحلم لو تلمس قدماه الارض ، لو يضع كفه فى كف مدينته ، ومن بعيد تتلوى « أعلام الدمية » ومن « المنفى » يجتر الشاعر الامه ، ويحس ان الجراح لم تعد تعلق فيها أجراس الصباح ، ولم يعد يجدى رفعها كبيارق ، ورغم أن « الجراد » قد رحل الا أنه الى الآن لم يحضن الخبز من قمح بلاده ٠

والشاعر من « منفاه النفسى » يعيب على الشعراء الذين يكتبون للقمر الظامى ، ولهودج بلقيس فى قصيدة « الى الشعراء العرب » وفى قصيدة «الشاعر والقيصر» يذكر ـ ولعله يقصد شاعرا بعينه ـ الذى يجمع القصائد للقيصر ، والذى لن يجد من يحبها لأنها ، نزعت خاتمه من الأصبع » ، ولأن القيصر اطعم هذه الاشعار للحداة ، ثم يعود فيذكر فى قصيدة « طائر من الرماد » هذا الشاعر الذى اطعم الفراش للجراد ، والدر للخنازير ، والورد للكلاب ، وهكذا غاب ثم عاد :

● كطائر من الرماد ٠

تذوده الاشجار عن غصونها ٠
ويبصق الصياد

ومن موقفه هذا يدين ـ فيما يخيل الى ـ العالمين الغربى والشرقى من خلال قصائد «اغنية الى زنجى أمريكى » و « المصلوب على ناطحة سحاب » و « دقى يا أجراس الكومون » و « أسطورة غيلان الثلج » فهو قد وصل الى المنطقة التى قيل فى مثلها مرة ان الشاعر قد أصبح خارج « بيضة العالم » ، وأنه من خلال موقفه يحس انه معزول وملعون فى الوقت نفسه ٠

ومهما يكن من شىء فالشاعر قد وفق فى ديوانه الأخير الى أن يعبر عن قضايا كبيرة مثل الحزن والموت والنفى ، وهو متفتح القلب على الرموز المسيحية بشكل يجعل شعره فى أكثر الأحيان مجهدا وحزينا، وقد كان أولى به وهو الشاعر الذى يحمل لهم قضيته المتوهج الا يواصل السير فى هذا الدرب الحزين والمسدود فى الوقت نفسه ، ولكنه «**التقليد الحديث**» الى حد ازهاق القصيدة العربية ، وبخاصة ما يمكن أن يحصل على ترجمة كاملة لمواقف من المسيحية ،

كما فى قصيدة « قبل أن يصيح الديك » وهو نفس الموقف الذى حول الى أكثر من قصيدة فى الشعر الحديث دون أن تكون هناك اضافة أو تعميق له .

ومن الغريب أن كل ما يتصل بالاسلام **– ونحن لا نتهمه بسوء النية –** يتحول لدى الشاعر – على قدرته – الى شىء غريب عن جوهر الاسلام ، فالشاعر مثلا حين يصف خيانة يقول :

● ان سجانك ما كف العواء
طارقا أبوابك الخضر الشهيده
« افتحوا يا أصدقائى الطيبين
واللصوص الاربعون
فى حصان من ذهب
فى تماثيل مآذن ! »

واذا كان حصان طرواده يمكن أن يأتى بالتداعى، فما الذى يستدعى المئذنة لتكون « جسما للخيانة »، ويمكن أن يحس هذا حين تكلم عن «براق» القافية المعلم فى قصيدة أجراس الطين ، والتى أهداها الى الذين يستنفرون شياطين الشعر فى وادى عبقر .

والشاعر يمكن أن يقال انه يميل الى التجسيد ، والى خلق علاقات جديدة بين الألفاظ ، فهو يحسن استعمال قاموسه لأنه يولده فى حرارة التجربة ، ثم ان عنده من المناعة مايجعله ينصهر فى التجربة الى الحد الذى لا يمكن أن تندس فيه الكلمات السابحة فى الهواء ، والهشة فى الوقت نفسه ، والتى هى آفة عدد كبير من شعراء هذا العصر ، فهو فى المرحلة الأولى:(المعركة ، الأردن على الصليب ، مارد من السنابل) يجعل للكلمات نبضا ثوريا نحسه فى مثل: غابةمن السواعد،وشمس من الجراح ،ومثقوب القلب، والمدينة الملوحة، والوجه المشحون، والبرق النائم ، ثم نراه فى المرحلة الثانية (فلسطين فى القلب) يقدم ألفاظا توافق التجربة فى هذا الديوان مثل القمر المعصوب العينين ، وشمسك فى أضلع غيلان الثلج ، وهو مولع بملء الفراغات ، تصل الرصاصة بالرصاصة والمقاتل بالمقاتل ، كما انه يكثر فى هذه الفترة من ذكر كلمتى العض ، والثعبان :

● لا يبنى الطائر عشا فى جحر الثعبان

● لو قدر ألا يلدغ كلماتى ثعبان

● لو قدر أن تنهار كجدار أفاع

● والثعابين لها البوابة الكبرى

● الليلة ثعبان زاحف

● عضة الزلزال

ولعله يقرب لنا قول الشاعر **«فروست»** من أن التوفيق فى التقاط الصور اللفظية لا يقل متعة عن التوفيق فى ابتداعها ، وبخاصة حين يكون الالتقاط من طبيعة الموقف نفسه ، ولكن كل هذا يتعرض للتخلخل حين نجد الشاعر لا يحكم قبضته على « التفعيلة » ، ولا يتمكن غالبا من افراغ الشحنة فى آخر الكتلة الصوتية سواء أطالت أم قصرت ، ثم انه قد يظهر هذا التناقض بصورة تصك الأذن وبخاصة حين يأتى بخمس متحركات يعقبها ساكن :

أين القمر المعصوب العينين يساق (بضم القاف)
وسط السحب الفاغرة الأشداق (بكسر القاف)
أسوار تفتح وظلال ... الخ

ثم انه قد يعانى من « التكرار » الذى يجمد الصورة ، وقد يأتى بختام مدو لا يتفق والسياق وقد يكدس الرموز الى حد يختفى فيه وهج التجربة، وبالرغم من أن القصائد العمودية قليلة العدد فى ديوانه الأخير وتاريخها يدور حول عام ١٩٥٣ ، ويسوقها الشاعر فى آخر الديوان على حياء الا أنها تتميز بالنبض والصور النامية ، ولعلها تدعوه فى نضج تجربته الى أن يلتفت الى هذه الأداة التى تمكن منها ولعلها تجعله لا يستدير عنها هذه الاستدارة الكاملة ، لأنه شاعر له « موقف » من الحياة ، ولأن عنده شيئا يقوله ، ومن هنا لن نخشى عليه العيب الذى يوجد عند الشعراء المترهلين حين يكتبون فى هذا الشكل .

وأخيرا – ففى هذه الأيام التى نذكر فيها فلسطين :
نرانا نذكر واحدا من شعرائها الذين يتكلمون باسمها سواء أكان هذا الكلام صراخا ، أم ترسبات حزينة فى قاع القصيدة ، ولا أدرى لماذا أذكر الآن قول الدكتور «سن» وهو يدعو الى «تثوير» الصين: « العالم هو السكين وهو الصحن ، أما الصين فهى اللحم الذى تقطعه السكين ويحتويه الصحن » ! فالشاعر لا يقول شيئا أكثر من هذا فى هذه الفترة عن بلاده ، فالعالم سيظل هو السكين ما لم تحل قضية فلسطين ، والشاعر سيظل يصرخ ما دام لحم بلاده يقطع فى كل يوم !

« عبده بدوى »



مسرحية الحيوانات الزجاجية

بقلم : عبد الفتاح البارودى

بأربعة أشخاص فقط هم كل شخصيات المسرحية ، وبدون أحداث مثيرة أو غريبة ، استطاع **تنيسى وليامز** أن يقدم لنا رواية ممتازة فى الموضوع وفى التكنيك المسرحى ... فهل يمكن أن يستفيد منها مؤلفونا !؟ انها نموذج للروايات المرتبطة ببيئتها ومجتمعها ، وأيضا مرتبطة بالقواعد الفنية الجوهرية .

انى لا أدرى لماذا لا نهتم بمثل هذه الروايات العالمية الجادة ، بينما نهتم بالهزليات مثلا .

كان من واجب المسرح العالمى الذى قدم هذه الرواية **الحيوانات الزجاجية** أن يقيم ندوات لمناقشتها ... ولقد سبق أن طالبنا باقامة ندوات فى كل الروايات لتقريبها الى الأذهان ،ولكن لم تهتم مسارحنا بذلك ـ باستثناء مسرح الحكيم ...

وأيضا كان من واجب المسرح العالمى أن ينشر هذه الرواية وكل الروايات المترجمة خلال عرضها، ولكنه ـ لا أدرى ـ لماذا ينشرها بعد عرضها بأسابيع ؟

وكان من واجبه كذلك أن يقدم نشرات وافية تلقى أضواء على الرواية واخراجها وكيفية تنفيذها ومدى أهمية مؤلفها ـ الخ .. ولكن النشرة التى وزعها خلال هذه الرواية هى بضعة أسطر لايمكن أن تستوعب أى دراسة عنها من أى ناحية .

والواقع أن الرواية تستحق الدراسة العميقة من مختلف نواحيها .. ان مؤلفها يصور بواعث وأسباب ومظاهر تدهور القيم فى المجتمع الأمريكى، وخلال هذه الفكرة يستطرد الى موضوعات فيها نقد لاذع لتصرفات الامريكيين فى حياتهم العادية وفى نشاطهم الفنى أيضا ، ورغم كثرة الاستطرادات فانها تغنى الموضوع الأصلى وتبرز خوافيه وتضىء معانيه ، والمؤلف يبرهن بذلك على مقدرة فنية كبيرة فى التناول الفنى .

فهو مثلا يستطرد الى الحديث عن الأفلام الامريكية ، فيسخر من سطحية اهتمامات



مشهد من المسرحية

السينمائيين ... ان بطل الرواية **توم** يصف برنامجا سينمائيا بانه طويل جدا ومزدحم جدا ، وحينما يصف التفاصيل تلمس عمق السخرية.. انه يقول ان البرنامج بدأ بفيلم « ميكى ماوس »، ثم فيلم سياحى ، ثم فاصل سحرى يقوم فيه الساحر بالعاب خارقة !! انه بذلك يسخر من ابتعاد السينمائى الامريكى عن مشكلات الحياة

والناس ... ولكى يضخم سخريته فانه يقارن بين تصرفات الناس فى الفترة التى كتب فيها روايته، ومن المقارنة نعرف أن الامريكيين ذاهلون عن واقعهم ، وان السينمائيين الامريكيين يزيدون هذا الذهول ، لأنهم فى افلامهم يتجهون الى التسلية التى تصل احيانا الى حد استغفال الناس ، وذلك بمحاولة اثارة اهتمامهم بالساحر الذى يضع احد الاشخاص فى صندوق مغلق بالمسامير ، وفجاة يخرج من الصندوق دون أن ينزع منه مسمارا واحدا !!

ايضا يسخر المؤلف من شغف الامريكيين بالرقص الصاخب والموسيقى الصاخبة ... والحقيقة أن مخرج الرواية ، نور الدمرداش ، أدرك هذه النقطة ، فاظهر على المسرح نافذة تعكس ظلالا لهذا النوع من الرقص ، كما أنه اسمعنا فى معظم المشاهد موسيقى تصويرية اعدها كمال بكير بفهم لفكرة المؤلف .

كذلك يسخر تينسى وليامز من ميكانيكية الحياة الامريكية التى حولت الامريكيين الى كائنات تفتقد القيم البشرية والمحافظة عليها ، لدرجة أنهم يلجئون الى الرقص ليس باعتباره فنا ، بل لما يشعرون به من ملل ، وخلال الرقص يختفون خلف اعمدة التليفون أو صناديق القمامة لاختلاس قبلة ، بل انهم ـ أكثر من هذا ـ فقدوا معنى العلاقات البشرية ... ان الأم **اماندا** تركها زوجها وهرب وهو يبتسم ... وهى أيضا ترتبط بابنها (توم) باعتبار انه ينفق عليها وعلى البيت ، ولا بأس بأن يترك البيت اذا ظهر من يحل محله فى الانفاق .. والابن أيضا يريد أن يهرب فعلا ، ثم يهرب فعلا فى نهاية الرواية ، وعندما كان يفكر فى الهروب تردد قليلا ، باعتبار أنه اذا هرب فسيكون وغدا ، ولكنه صمم على الهروب ونظر الى صورة أبيه الذى سبقه فى الهروب وقال واصفا نفسه واباه بأنه وغد ابن وغد !!

المدهش أن المؤلف يعطيك كل معانيه فى انسياب، بحيث لا تشعر بأنه يريد أن يقول لك شيئا ... انك تشاهد أحداث المسرحية فتعيش معها من فرط الدقة فى التناول الفنى رغم غرابة البيئة التى تدور فيها هذه الاحداث ... فالمؤلف يركز احداثه فى الطبقة المتوسطة فى امريكا ، وهى بالطبع طبقة لها مكونات معينة وظروف خاصة بها، ومع ذلك فانه يقنعك ، بمعنى أنك لا تشعر بأن شخصياته غير مترابطة مع ظروفها ... ان المؤلف بارع جدا فى ربط الاحداث بالواقع الأمريكى وبالمجتمع الامريكى ، وبارع جدا فى كشف مساوىء ذلك المجتمع ... فهو مثلا يصور صديق هذه الأسرة **جيم** بالامتياز والنبوغ منذ مرحلة الدراسة الاولى ، ومع ذلك فانه انتهى الى وظيفة موظف فى مخزن ، وزميل لابن الاسرة **توم** فى نفس المخزن.. اى ان المجتمع الأمريكى لا يتيح الفرصة الحقيقية للممتازين .

والتكنيك المسرحى ممتاز ايضا ... ان المؤلف يعبر عن موضوعه باسلوب فنى يبدو فى تكوين الشخصيات وتشابك الاحداث والصراع والسخرية والعمق ... ان الصراع يحتدم بين مختلف الشخصيات فى علاقاتها بعضها ببعض ، وفى داخل كيانها ايضا دون اى افتعال ، ودون خطابيات ، بل بدون تجهم ... أكثر من هذا أنه يعبر عن تفسخ المجتمع الامريكى بتفسخ كل شخصية على حدة ، وتفسخ الأسرة التى تجمعهم جميعا ، وتفسخ الحيلة التى لجأت اليها الأم ... انها أرادت أن تعثر على عريس لابنتها الوحيدة **لورا** ، وطلبت من ابنها الوحيد باصرار أن يستضيف صديقه (جيم) ليخطبها ، وتستعد لدعوته الى مائدتها استعدادا فى غاية المكر والحذر والدهاء ، ويحضر الضيف فعلا ويلتقى بالفتاة فعلا ، ويقترب منها فعلا ، ثم يظهر فى النهاية أنه ، خاطب ، ويخرج من البيت لمقابلة خطيبته التى سيتزوجها فعلا وفى نفس الأسبوع .

ان خيبة امل الأم ـ كما صورها المؤلف ـ رمز بها الى خيبة أمل الاسرة وخيبة أمل الطبقة المتوسطة فى امريكا ، وخيبة أمل الحياة الامريكية التى فقدت جوهر العلاقات الانسانية .

شىء واحد ألاحظه فى تأليف هذه الرواية ، وفى روايات المؤلفين الامريكيين المحدثين بصفة عامة ، وهى الالتجاء الى شخص يقدم الرواية على المسرح ويمثل فيها أيضا .. هذا أسلوب أصبح مألوفا فى كثير من المسرحيات الامريكية ، وهو أسلوب غير مسرحى ، لان المفروض أن الرواية المسرحية لا تحتاج الى من يقدمها ، بل تقدمها أحداثها وشخصياتها .

ان وجود مقدم للمسرحية يضعف بناءها الدرامي، ويظهر أنه وجد على المسرح الامريكي بسبب انتشار القصة الروائية في المجتمع الامريكي ٠٠ ولكن منجهة أخرى نلاحظ أن تنيسي وليامز استخدم مقدم المسرحية باحتراس فني واضح ، أدى الى انه لم يتجاوز في التقديم النطاق المحتمل ، فلم يستطرد في تقديمه ولم يسترسل ، بل بالعكس كان يرتكز على نقط ارتكاز هامة ، بمعنى أنه كان يقطع «السرد» في مقاطع معينة بحيث لم نشعر بأن الأحداث خرجت من المجال المسرحي ٠

شيء آخر نلحظه في التاليف ، وهو استخدام «**الرمز**» المادي والمعنوي والخلط بين الرموز والمعاني المجسدة ، والخلط بين الرمز والواقع ٠٠٠ فهو مثلا يصور بطل الرواية موظفا في مخزن ، وهذا المخزن يسجن حريته ، وهذه الوظيفة لا تجزيه غير أجر ضئيل ٠٠ ان المؤلف يقصد بذلك الرمز الى ما يعانيه المجتمع الامريكي من وطأة الحياة الامريكية ، ولكنك لا تدري أين يرمز وأين يصرح بوضوح وواقعية ٠

وهو أيضا يصور الفتاة (لورا) عرجاء ، وهذا التصوير رمزي ، لانه لو لم يكن رمزيا لكان معنى ذلك أن الرواية التي تصور مأساة هذه الفتاة انما تصور مأساة فتاةمشوهة ، وسببالمأساةهو تشويهها الجسماني ٠٠٠ ولكن الرواية تصور مأساة مجتمع كبير في الحياة الامريكية ، والعرج في الفتاة حيلة رمزية مقصودة ، ورغم أن المؤلف قصدها فانك لا تستطيع معرفة مدلول ذلك بالتحديد أو بالتقريب ٠

هناك شيء ثالث ، وهو أن المؤلف لجأ الى اسناد بعض الاحداث الى شخصية غائبة ، وهي شخصية الأب الذي هرب ٠٠٠ والملحوظ بالنسبة لهذا الأب ان المؤلف يعود اليه في فترات متلاحقة ومتكررة أكثر من اللازم ٠

والمخرج أيضا ـ رغم نجاح الاخراج ـ كرر الرجوع الى نفس الشخصية وأبرز ذلك أكثر من اللازم أيضا ٠

وربما يؤخذ على المخرج أنه لم يدقق في اختيار الممثلين حسب تناسب خصائصهم مع خصائص الشخصيات التي مثلوها في الرواية ، ولكن اداءهم التمثيلي ممتاز جدا ٠٠٠ فكيف تفسر هذا التناقض ؟!

ان عمر الحريري مثلا يمكن أن يقال انه وضع في غير دوره ٠٠٠ الدور يحتاج الى شاب بلغ مرحلة الشباب ولكن لا تزال أمه مسيطرة عليه وتنظر اليه كطفل وهو يخاف منها ويظل خائفا في معظم الفترات الى أن يهرب ٠٠٠ بهذا الشكل لا يعتبر عمر الحريري انسب ممثل لطبيعة الدور ، ولكنه عوضنا عن ذلك بالأداء الممتاز جدا ، سواء في تقديم الرواية أو في تصوير مختلف المعاني التي تطلبها دوره ٠٠ وأيضا دور الأم حولته نعيمه وصفي الى دور أي أم باستثناء الأم الامريكية التي رسمها المؤلف ٠٠٠ ولكنها عوضتنا عن ذلك بالتعمق في أداء التفاصيل ٠

ومديحة حمدي الممثلة الجديدة أدت دور الفتاة باخلاص ووعي بطبيعة هذا الدور٠٠٠ لم تظهر العرج كتشويه ، بل كعامل من عوامل تكييف نفسية الفتاة وتصرفاتها حسب ما قصده المؤلف٠٠٠ أداء ممتاز٠٠ والممثل الجديد **سناء الدين شافع** يمارس لأول مرة تجربة كبيرة ، ويكفي أنه لم يفتعل ٠

مؤلف الموسيقى التصويرية كمال بكير نجح في تاليف واختيار الموسيقى التي تستكمل التعبير عن فكرة المؤلف ٠٠٠ وديكور **سمير أحمد** كان متناسبا مع الحركة المسرحية ، والجميع تعاونوا علىابراز فكرة المؤلف والمعنويات التي تطرق اليها ، ومقاصده في تجسيد ما في الحياة الامريكية من قلق وهروب وملل ٠٠ الخ ٠٠٠ ولكن المخرج ـ مثلا ـ كرر طريقة الاضاءة والاظلام ، وكرر طريقة التقديم ، وكرر مشهد الاشباح الراقصة ، وهذا التكرار كله مقصود ولكنه فقد أهميته في المشاهد الأخيرة من الرواية ، لأنه تحول الى تكرار روتيني ٠٠٠ كما أن الموسيقى ظهر فيها الصخب أكثر من التعبير عن الصخب في مشاهد كثيرة..ورغم كل الملاحظات فالرواية جيدة جدا ، وتستلزم الدراسة ، والمسرح العالمي يستحق التهنئة على تقديمها ، ولكنه يستحق اللوم لانه لم يتهيأ لتقريبها الى الأذهان كما ينبغي ٠٠ اذ ما الفائدة من تقديم مثل هذه الرواية دون الاستفادة منها ؟!

« **عبد الفتاح البارودي** »

مع فنان

تقديم

اميل جرجس

في هذا العدد اقدم لكم احد أساتذة الرعيل الأول ممن كان لهم الفضل في ارساء أول حجر في بناء نهضتنا الفنية .. الا وهو .. الاستاذ راغب عياد .. ومع أنه في غنى عن التعريف به فليس في مصر من يجهل اسمه ولا يعترف بما له من فضل في دعم بنياننا الفني .. فمن عهد انشاء المدرسة الأولى للفنون الجميلة الى يومنا هذا أنجبت النهضة الفنية ثلاث طلائع يعود اليها الفضل في اقامة صرح الفن ووضعه في أسسه وقواعده .. ولقد كان الاستاذ راغب مع كبار فنانينا أمثال محمود مختار ويوسف كامل ومحمد حسن وأحمد صبري وعثمان دسوقي وأنطون حجازي وعلي حسن وغيرهم يمثلون أول طليعة ساهمت في النضال بقسط وافر في بناء تلك النهضة بعد أن شقوا طريقهم بين الاشواك والصخور حتى أزالوا الحواجز التي كان يضعها الاجانب أمامهم .. ولقد ساروا بخطوات ثابتة مستخدمين وحيهم والهامهم من طبيعة أرضهم ومن مناظر ومشاهدات في الاحياء الشعبية والاقاليم المختلفة يسجلون جمال مناظرها معبرين عن البيئة وعاداتها مستوعبين خصائص فننا المصري القديم .ولقد اهتم الاستاذ راغب بالاستعراضات الشعبية مثل حفلات العرس والحفلات الدينية المتعددة كالموالد وما تقدمه لنا من أنواع المرح الشعبي ، فقد أحس بتعبيرات أولاد البلد في انسانيتها فقدم لنا صورة حية لمشاعرهم وسذاجتهم البريئة المجردة من كل زيف .

فراغب عياد يميل الى كل ما له علاقة بالشعب وعاداته وتقاليده . وبعد فان المجال لا يسمح بأن أزيد أكثر من هذا . فلو تركت العنان لنفسي لملأت صفحات وصفحات . عن كل من كان له الفضل في ارساء حجر أساس في بناء نهضتنا الفنية .



المرح الشعبي (رسم راغب عياد)



الفنان راغب عياد

- بدا دراسته الفنية بمعهد الفنون الجميلة الاول عام ١٩٠٨ .
- كان يكره الدراسات الكلاسيكية والقواعد الفنية الضيقة كالرسم عن التماثيل الصامتة فهي في نظره مجردة من الحياة .
- اضطر الى تتبع الاصول والقواعد الموضوعة للفن والتي لا يمكن التحول عنها بأي حال من الاحوال طوال مدة دراسته بالمعهد الى أن تركه سعيا لكسب العيش .
- شعر بانه انطلق الى طور الحرية المطلقة ... فالتحق بمدرسة الطبيعة او مدرسة الشعب كما يسميها .
- بدا دراسته المنشودة عن الحياة الريفية معتمدا على جهده الشخصي وانفعالاته الوجدانية وسعى وراء البحث والتحصيل .
- كان هذا الانتقال بدء تحول في حياته.. فشعر أن نافذة تفتحت امامه بعالم جديد، عالم حر يعكس النفس الذاتية المستمدة من الأحلام الداخلية .
- كان يعتبر الشعب هو وحيه فاخذ يدرس عناصر متنوعة ضمنها الفلاح والعامل وكافة طبقات الشعب ....!! كما عشق التغلغل في حياة أولاد البلد باحثا بنظرة تحليلية عما تحوى من انسانية بريئة وبساطة متناهية .
- مما يجب ذكره انه عمل هو والاستاذ يوسف كامل ، صديقه الحميم ، .. بالتدريس ولكن هذا لم يشغلهما عن اتمام دراستهما في الخارج رغم الظروف المالية التي واجهتهما .. فقام احدهما بالسفر الى ايطاليا للدراسة والتحصيل . على أن يقوم زميله بعمله وان يرسل له مرتبه للانفاق منه في الخارج اثناء دراسته حتى اذا ما اتم دراسته وعاد الى وطنه حل محل زميله وقام بالتدريس مكانه ليتيسر له ايضا اداء دراسته بايطاليا ، ولقد كانت فكرة موفقة رائعة دلت على مقدار حبهما لعملهما واخلاصهما له .

اغنية الموسم

انت الحب

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

. اغنية انت الحب التي التقى فيها عمالقة الفن الثلاثة .. رامي .. وعبد الوهاب .. وام كلثوم كانت اغنية الموسم .. وكانت حديث الناس وما زالت من يوم ان تدفق بها صوت ام كلثوم الى الآذان في انحاء العالم العربي كله . وكان بعض الذين يكتبون في الفن كلاما وتعليقا على هذه الاغنية وقيمتها الفنية . وفي هذا المقال راى متواضع عن الاغنية شعرا ولحنا واداء . .

انت الحب ..

وانما يبقى الحب على مدى الزمن عنوان الخير ومظهر الحق ونظرة الجمال واسمى ما يصل بين الانسان والانسان في هــذا الوجود . وهذا هو مذهب صديقنا الشاعر احمد رامي في الحب والاحساس بالحب . وبهذا المذهب عاش طول حياته في قلوب الناس . وقلبه مع كل عاشق . يهنئ كل قريب ويواسي كل غريب . يضحك مع الفرحان ويبكي مع الباكين وليس عليه بعد ذلك اذا ما شرب الناس جميعا وارتووا من الهوى وتركوا له الكاس بدون نديم .

فالحب عند رامي ليس حركة او مجرد لذة تجلبها هذه الحركة .. عينيك في عينيه .. وايديك في ايديه .. وفساتيني التي رقصت على قدميه .. بالهمس باللمس بالقبلات .. الى آخر تلك الحركات العضوية التي يتطلبها مذهب اللحم والدم وتتلهف عليها ضراوة الغريزة . وانما الحب عند رامي قلب يلتقي بقلب وروح تمتزج بروح ونفس تذوب في نفس وهو بهذا اكرم وانبل من ان يكون موضع مساومة على الأخذ والعطاء والمنفعة واللذة وانما هو الحب لذات الحب . وعلى هذا المذهب جاءت اغنيته الأخيرة .. انت الحب .

فالشاعر رامي لا تعنيه تلك الحركات الاستفزازية الملموسة التي تقترن باحساس عامة الناس . ولكنه يصور الحب تصويرا اعمق والصق باغوار النفس الانسانية واكرم بمفهوم الحب نفسه. وهذا لا يمكن ان يكون الا من شــاعر يعيش باحساسه فوق احساس الجماهير وروحهم ويدرك من معاني الاشياء ويفهم اكثر من ادراك العامة وفهمهم . وعلى هذا فانت لا تجد في اغنيته الأخيرة شيئا من هذه الحركات التي تتجاوب مع اندفاعات الغريزة والمراهقة وانما هي احساس شاعر اسمى من هذا وانبل .

وفي اغنيــة رامي كلمات ترددت من قبـل كثيرا في اقــوال الشعراء وفي حناجر المغنين . فهو يقول مثلا : « يا واحشني وانت قصاد عيني » . والناس يذكرون الأغنية القديمة التي تقول يا واحشني وانت قبالي .

وهو يقول : اهواك في قربك وفي بعدك وهو مقطع اغنيــة رددها فريد الاطرش الى اليوم .

ثم هو يقول : اول عينيه ما جت في عينيك وهذا تعبير تكرر في الأغاني كثيرا . وكرره رامي نفسه من قبل .. الى آخــر ماهنالك من الجمل التي يجد لها الانسان مشابهات في الأغاني القديمة وفي اشعار الغزل والنسيب القديمة .

وانما الأغنية في مجموعها صورة شاعرية رائعة وهي تجــربة رامي الطويلة . انها صورة نفسية للشاعر الصوفي في محراب الحب . واعني بالصوفية هنا غاية التجرد من كل المعاني المادية التي ترتبط بالمنفعة وبالمساومة ، وقد بلغ رامي الذروة في بلورة هذه الصورة حين قال :

انت الأمل اللي احيــا بنوره
عمــره ما يبعد يوم عن عيني
وانت الشــوق اللي اسمع صــوته
لـما يغيب عني ينــاديني
وانت الحب اللي ما فيش غــيره
لو يســعدني او يشــقيني

فهو يحب لذات الحب ولا يعنيه اسعده الحب ام اشقاه تماما كما قالت القديســة رابعة العدوية : اللهم اني اعبــدك لا خوفا من عذابك ولا طمعا في جنتك ، ولكن اعبدك لذاتك ..

هذه الصورة النفسية التي صورها رامي في اغنيته هي من وحي التجربة التي عاشها باحساسه المرهف وروحه الصافية التي لا تحمل ضغنا لانسان ولا تمانع في خير لانسان . بل انهــا عاشت طوال عمره ـ نسأل الله ان يبارك فيه ـ وهي عند الخير والمواساة والعطف دائما على كل انسان . فلا يمكن ابدا ان تفهم هذه الصورة بعيدا عن شخصية رامي وتجربته . فانه هنا لايتحدث عن شعور احد وانما يتحدث عن شعوره هو ولا يصور احساس احد انما يصور احساسه هو . وقد هزني رامي من الأعماق وهو يقول :

لــكن اغــر من اللي يحبــك
ويصــــون هــواك اكتر مني
ولــــا اشــوف حــد يحبك
يحــل لي اجيب ســيرتك وياه
واعرف جرى له ايه في حبك
وقـــد ايه صــانه ورعــاه

فهذه الأبيات تصور حالة نفســية تساور كل انسان مخلص في حبه صادق في عاطفته حين يساوره القلق فيحاول ان يشفي نفسه بالسؤال ـ كما قال الشاعر العربي القديم :

واستخبر الاخبار من نحو ارضها
واسأل عنها الركب : عهدهمو عهدى ؟

فهو يعرف ان الركب لا يعرفون شيئا عن محبوبته مثله تماما ولكنه يسألهم لانه يشفى نفسه بالسؤال . وماذا يصنع الشاعر حين يرى موضع امله ومورد حبه وقد غامت من حوله العيون فيحاول ان يطمئن نفسه بالسؤال عن حقيقة هذه العيون الهائمة والقلوب الحائمة ، ولا يزال يلح فى السؤال وكل مايريد هو ان يعرف انه مازال فى مكانه الاول ولا يريد ان يسبقه احد الى هذا المكان .

فالشاعر رامى لايغير ممن يشاركه الحب لانه انسان طيب ولانه يريد ان يكون الحب صفة لكل الناس من فرط شعوره بالحب ولكنه يريد ان يطمئن على مدى اخلاصه وصدقه فى هذا الحب . وقد عجبت من ان بعض الناس حسبوا ان فى كلام رامى شيئا من التناقض . ويبدو لى ان هذا الفهم مرجعه عدم الوقوف على التجربة التى عاشها الشاعر ويبدو لى ان اصحاب هذا الفهم يحتاجون الى اعادة النظر فى هذه الابيات ، وان يفهموها بشعور جديد وبادراك جديد .

ورامى شاعر متمرس بفن الغناء وهو فوق شاعريته الموسيقية يمتاز باذن حساسة تفهم النغم وتقدره حق قدره ، وهو بذوقه الموسيقى المرهف يعرف كيف يختار الكلمة التى تنساب فى اللحن انسيابا . وعلى هذا جاءت كلمات اغنية « انت الحب » وهى ثروة للملحن يستطيع ان يصنع منها ما يشاء . فماذا صنع عبدالوهاب باللحن ؟

مرحلة جديدة فى فن عبد الوهاب

بدأ الموسيقار محمد عبد الوهاب بمقدمة موسيقية هادئة لينة طويلة هى موسيقى عبد الوهاب . فاذا سمعها انسان له ادنى تمرس بالفن لاول وهلة ولم يعرف اسم صاحبها ، لقال هذه موسيقى عبد الوهاب ، ففيها طابعه ولوازمه ، والمقامات التى يؤثرها فى التلحين . ولكنه بعد هذه المقدمة الهادئة الطويلة اضطر ان يبتدىء فى تلحين الاغنية هادئا تجاوبا مع المقدمة الموسيقية . وعلى هذا بدأت ام كلثوم بداية لا تتفق مع قوة صوتها . وكأنى بعبد الوهاب حين بدأ هذه البداية قد نسى انه يصنع اللحن لام كلثوم ونسى مساحات صوتها القوى الذى لايطيق الانحباس فى المجال الضيق وانما كان عبد الوهاب وهو يبدأ اللحن يقيس على صوته هو ، وانما ابتدأ محمد عبد الوهاب يلحن لصوت ام كلثوم بعد انتهاء المقدمة فى الفقرة الاولى . وعند ما قال رامى :

اول عينيه ماجت فى عينيك
عرفت طريق الشوق بيننا

فمن بداية هذا المقطع سار عبد الوهاب فى اللحن متدفقا مع صوت ام كلثوم . والحقيقة ان عبد الوهاب قد بذل جهدا كبيرا فى تنسيق اللحن الذى يعتبر مرحلة جديدة فى فن عبد الوهاب فقد عودنا عبد الوهاب من قبل التطلع الى الموسيقى الاجنبية . كان يسمع اللحن الاجنبى فتعلق باذنه بعض النغمات التى يعتقد انها لو سويت ووضعت فى مكانها من اللحن الشرقى لكانت شيئا جديدا فى الفن وقد وفق عبد الوهاب فى تسوية بعض هذه الانغام وشكلها فى مجرى النغم الشرقى . وبعضها جاء زعيقا وصراخا لاتحتمله اذننا . اما فى هذه الاغنية فقد اتجه عبدالوهاب الى فننا الشعبى . الفن الاصيل الذى ينبع من فطرتنا ويتجاوب مع مزاجنا ولا شك ان الاتجاه الذى نراه فى الاونة الاخيرة الى الفن الشعبى انما هو نتيجة للاحساس بقوميتنا وبشخصيتنا وشعبيتنا وقد كان هذا الاحساس عارا عند بعض الناس فى العهود الماضية .

وغاية مايقال فى لحن اغنية « انت الحب » انه ملحمة رائعة من الفن الشعبى ، او ان شئت فقل من الموسيقى الشرقية . وكأنى بعبد الوهاب قد حمل عوده وقام بجولة فى احد الموالد . وفى نهاية الجولة أتم هذا العمل . فلحن « انت الحب » انما هو صورة لموسيقى المولد ففيه من اغانى المداحين ومن انغام الفقهاء ومن يسمونهم باولاد الليالى . ثم فيه من الموال وموسيقى الانشاد على الذكر . والواقع ان عبد الوهاب قد حاول هذه المحاولة فى اغنية « انت عمرى » . ولاشك كما قلت فى مقال سابق قد اخذ من الالحان الشعبية ولكنه مسها مسا خفيفا وطورها تطويرا بحيث لا يعرف مواقعها الا العليم بمواقع النغم . اما فى اغنية « انت الحب » فقد اخذ من الفن الشعبى اخذا واضحا صريحا . فاى شخص له اى المام بالسماع يعرف فى مقاطع الاغنية ان هذا هو لحن الموال ، وهذا هو نغم الانشاد وهذه طبقة المداحين . وتلك ترجيعات قراء الموالد . ولكنى اشهد ان عبد الوهاب قد صقل هذه الالحان صقلا قويا ، وصنع شيئا جديدا له قيمته الفنية ، وانى اعتقد ان الذين حاولوا ان يهونوا من قيمة هذا العمل ووصفوه بانه محاولة بسيطة انما يتجنون على الحقيقة .

شىء واحد هو الذى لم اقبله على انه شىء جميل فى الاغنية ، واعنى به تلك اللازمة الموسيقية التى يرددها عبد الوهاب عند مقطع الاغنية :

اهواك فى قربك وفى بعدك

فان هذه اللازمة الموسيقية قد سمعها الناس من قبل فى لحن اغنية « قلبى يقول لى افتح افتح » واظنها لاحد الملحنين من ابناء لبنان .

كل هذا لا يقدر عليه الا ام كلثوم

والحق ان اللحن الذى قدمه عبد الوهاب فى اغنية انت الحب لايمكن ان تغنيه الا ام كلثوم ولا يمكن ان ينهض بادائه الا صوت ام كلثوم المثقف المتدفق الكامل . فقد تضمن اللحن كما قلنا فقرات من الوان مختلفة من الموسيقى ، من الموال ومن القصيدة ومن الانشاد والذكر . فقد غنت ام كلثوم كل هذه الالحان ، وتثقف صوتها فى اداء كل هذه الالوان . فغنت الموال وغنت المدائح وغنت الاناشيد والقصائد ثم الدور والطقطوقة . وبعد هذا فهى صاحبة صوت كامل ، وبقوة الكمال فى هذا الصوت تجد القدرة على ان تخرج من نغم الى نغم وان تتصرف من مقام الى مقام . وكل هذا فى براعة مدهشة وروعة تاخذ بالالباب . وام كلثوم حين تغنى وتنسجم مع اللحن تكون كالمهرة العربية الحرة تسبق كلما طال بها الشوط وتظهر اصالتها وقوتها فى الميدان الفسيح الممتد . ولا عجب ان نرى ام كلثوم فى هذه الاغنية الطويلة وقد وقفت فى اخر المقاطع وهى تغنى بقوة وروعة خلبت الالباب واخذت بمجامع القلوب .

• محمد فهمى عبد اللطيف •

الكتب نقد وتعريف

بقلم : محسن عبد الحي

الفعالية الثورية فى النكبة

« تاليف : الدكتور نديم البيطار »

يحل بعد غد اليوم الخامس عشر من مايو ـ بذكرياته المؤلمة .. يوم اعلن رسميا عن قيام دولة اسرائيل ـ مسجلا العام السابع عشر من حياة دولة العصابات الصهيونية التى تعشش شراذمهـا على ارضنا السليبة فى فلسطين المحتلة .. كوجود استعمارى عدوانى متحرك ضد حياة شعبنا ووجوده الانسانى .. واذا كان حلول ذلك اليوم يعنى بالنسبة لشعبنا الشىء الكثير .. فانه يعنى بالضرورة بذل المزيد من الجهد الواعى ـ فى اطار ثورى تقدمى ـ على طول الجبهة العربية والعالمية ـ لتصفية هـذا الكيان الاستعمارى المسخ . واذا كان شعبنا يناضل نضالا يوميا مريرا من أجل تصفية الجيوب الانهزامية المفلسة التى تعرقل مطالبه العادلة فى الوحـدة والتقدم ـ فان جماهيرنا اليوم تعرف طبيعة هـذه الاوكار الانتهازية التى ابت على نفسها الا أن تتاجر بمقدساتها وقضاياها القومية العادلة .. واذا كانت قيادتنا الثورية قد اعطت لهؤلاء الانتهازيين المفلسين من امثال بورقيبة فرصة واسعة للعمل الشريف ـ وذلك ضمن خطة عمل مرحلية ـ فانه لم يغب عنها مطلقا أن بورقيبة كان دائما يطفو على سطح الاحداث، كلما تأزمت المعركة بين العرب والاستعمار مناصرا الافكار والمؤامرات الاستعمارية ـ وخاصة فيمـا يختص بنضال شعبنا فى الجزائر .. وعندما أرغمه شعبنا العربى فى تونس على الانضمام الى جامعـة الدول العربية صرح وقتها بأن انضمام تونس الى جامعة الدول العربية لايتناقض مع وفائها للغرب . وتعلم قيادتنا الثورية كذلك أن بورقيبة هو ماتحدث عنه « ريتشاردز » مبعوث ايزنهاور الخاص ـ بقوله ـ «ان بورقيبة هو رجلنا الجوهرى فى شمال افريقية» وبورقيبة ـ شكلا ومضمونا ـ لايزيد على كونه مثلا من الامثلة التقليدية المتهالكة التى أضاع وجودها فى الحكم عام ١٩٤٨ ـ أرضنا فى فلسطين . نتيجـة لافلاسها القيادى والاجتماعى والسياسى ...

* * *

واذا كان البعض يرى فى اعطاء بورقيبة فرصته التى أضاعها تكتيكا بارعا من جانب قيادتنا الثورية ـ لكشفه وتعريته على المستوى القومى قبل الدخول فى عملية المواجهة المباشرة بأسلوبها المسلح ضد الاستعمار الصهيونى . فاننا نعتقد ان طبيعة المرحلة النضالية التى تجتازها جماهيرنا ـ تفرض علينا أن نؤمن ـ ونؤكد على هـذا الايمان لضرورته الملحة ـ

بأن معالجة القضية الفلسطينية بل ومعالجة قضية وجودنا القومي ذاته تنبع أساسا من العمل على تحرير قوى جديدة وأساسية في المجتمع العربي – وطريق هذا التحرير يقوم على تحرير امكانيات الانسان العربي – الفكرية والنفسية والاجتماعية والمادية من الوجود التقليدي ومن جميع المعتقدات التي كانت ترافق وجوده قبل نكبة فلسطين وأثناءها . ونحن لا نيأس مادام المواطن العربي في كل جزء من اجزاء وطننا الواحد يعرف طريقه الصحيح الى تحرير ذاته من القوى التي قادته الى المأساة فاليأس يتولد من وضع مبهم غامض لا نستطيع أن نتبين فيه طريقنا بوضوح وينتج عن أوضاع لا تسمح لارادتنا بأن تكون فعالة .. وهذا يعني ان اقرب الطرق الى شل ارادتنا وتعثرها تقوم على تفسير خاطىء لمأساة شعبنا في فلسطين لان مثل هذا التفسير يقودنا الى العمل في أوضاع تنفي فعالية الارادة العربية الواحدة . وذلك ما كان يرمي اليه بورقيبة ومحركوه – عن طريق تفسيراته الخاطئة وعلى كل فان شعبنا من المحيط الى الخليج وبطلائعه الثورية – لايخاف التحدي .. فكلما زاد التحدي حدة زادت عظمة الرجال الذين يردون عليه . وسوف يستمر شعبنا في طريق نضاله البطول ضد الاستعمار والتجزئة . مؤمنا بوحدته الشاملة في اطارها التقدمي – كطريق للعودة الى الوطن السليب .

***

وكتاب اليوم « الفعالية الثورية في النكبة » الذي كتبه المفكر العربي الكبير « الدكتور نديم البيطار » – ينظر الى النكبة نظرة موضوعية مبرزا طبيعتها الثورية والعناصر التي تتشكل منها والاتجاهات الأساسية التي يفرضها قيامها والتي تقود بديالكتيكها الخاص الى قيام نتائج تضمن تحرير فلسطين وتحرير العربي ذاته – ويمكن القول بأن هذه الدراسة المفيدة التي قدمها المؤلف في هذا الكتاب تعتبر الى حد بعيد اضافة جديدة بعيدة عن التكرار والنقل الممسوخ .. الذي اعتدنا ان نراه في عشرات الكتب التي عالجت موضوع القضية الفلسطينية . فقد كشف المؤلف في هذه الدراسة عن القوى الحية التي تجعل نضال العرب في فلسطين نضالا يستند الى قوى تعمل مع التاريخ في حركته وحتميته العادلة ..

***

وقد بدأ المؤلف في دراسة دور النكبات التاريخية ومضمونها وأثرها على معظم شعوب العالم . وقارن بين هذه النكبات بظروفها وملابساتها وبين فلسطين مستندا في ذلك الى أقوال المؤرخين والفلاسفة والمفكرين في جميع أنحاء العالم .

عندما يسأل « بيجي » – « باسكال » عن كيفية الخروج من الشر الانساني العام . يدله الثاني على ضرورة معاناة بؤسنا . لكي نكتشف في ذلك عن عظمتنا . عن مكان القداسة فينا .

وثورية النكبة تعبر عن ذاتها في موقف يفرض شكلا جديدا على المجتمع الذي يصاب بها . شكلا كان يستحيل لولا التحول الثوري الذي تحدثه في النفوس تلك الثورية تعلن عن نفسها في رفع الانسان الى صعيد جديد من النبل والبطولة . لأنها تستحيل دون ايمان بقوة الخلق في الانسان . بعظمته وأهميته . وتخلق النكبة ما يسمى بالوضعية الثورية التي تدفع الفكر الى صعيد الوعي وتحفزه على انماء وتطوير ذاته وتحثه على تجاوز أوضاعه – والنكبة تفرض على الفرد الذي كان يسير تلقائيا مع وجوده التقليدي أن يقف ، وينفصل عنه ، ويفحص ذلك الوجود بشك وتساؤل والنكبة تلغي الشعور بالاستقرار والامن . وهذا الامر يولد اليهما حاجة حادة ، وهي تكشف وجود الفرد . فيشعر أنه قد أصبح معرضا لعواصف الحياة دون حماية ولا ملجأ ، متأرجحا في فراغ كبير ، مما يفرض بدوره نشوء الحركات الثورية التي تحاول أن تتجاوز ذلك .

وتأتي النكبة نتيجة ضغوط خارجية مباشرة أو في هزيمة حربية لتساعد عن طريق رد الفعل على خلق المجتمعات من جديد .. فمنذ عام ١٨١٢ كانت دول أوربا الغربية تهاجم روسيا باستمرار فانكسار روسيا سنة ١٩٠٥ في حربها مع اليابان وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى واستمرار الضغط عليها في الحرب العالمية الثانية – كانت هذه الاسباب هي التي ساعدت روسيا على أن تتحول الى دولة عالمية كبرى. ولم تكن الشيوعية هي التي جعلتها كذلك .

وبنفس الظروف والمستوى مرت الصين بمثل ذلك الوضع فأحست بالمهانة والانكسار نتيجة لتكالب الدول الأوربية عليها واغتصاب أراضيها .

ومن هذا الاحساس بالمهانة والانكسار قامت الصين – وتحررت واستقلت وفي الماضي كان يمكن لأية دولة أوربية أن تغزو الهند وأن تقتطع منها ما

شاءت من أرض . ولكن بعـــد أن بدأت الهنـــد في استخدام عناصر القوة فيها ، كان يكفي فقط أن تنذر البرتغال بأنها قادمة لطردها ، لكي تجمع البرتغال أطرافها وتنسحب في سلام .

وبالنسبة لنكبة فلسطين فالعرب يملكون جميع عناصر ومقومات القوة . وهم في طريقهم وخصوصـا باعتماد الثورة في الجمهـورية العربية المتحدة على حشدها واستخدامها ، وعندئذ سيكون مصير الدولة المسخ مثل مصير الدول الأخرى بالنسبة الى روسيا والصين والهند .

فنمو القوة العربية سوف يكشـف تدريجيا عجز اسرائيل ، مما يقود أيضا الى تشجيع جميع متناقضاتها الداخلية التي تساعد على انهيارها . فقوة الاحتلال الصهيوني الصناعية العسكرية أمر مصطنع لا يعتمد على مقومات أساسية تضمن لهـا الاستمرار فهي في الواقع قوة سلبية تقـوم من ضعف العرب ، ولـكن ضعف العرب ضعف جانبي ثانوي ، لأنهـم يملكون الامكانيات والقوى الأساسية التي يمكن لها أن توفر لشعبنا ما يجعله قوة صناعية تكنولوجيـة كبرى في القرن العشرين . فالمساحات الجغرافية الشـاسعة ، والمـواد الأوليـة ، والقـوة البشرية ، والمواقع الاستراتيجية عناصر تتوفر للعرب بشـكل هائل ، والوقت والعمل الثوري هما كل ما يحتاجه العرب في تحويل تلك الامـكانيات الى واقع ملموس ، وعندئذ تكون قوتهم رهيبة حتى في مقاييس القرن العشرين .

وقد حققت لنا نكبة فلسطين في نتائجها الثورية ـ واقعين أساسيين ، لا يمكن أن يستقيم سيرنا الى الوحدة دونهما وهما :

أولا : وجود غزو خارجي يضـبط جهـــودنا ويوحدها ، يذكرنا دائـما وأبدا بضرورة توحيـدها وضبطها في سبيل الدولة الواحدة .

وثانيا : قيام قاعدة ومحور لتلك الجهود تتمثل في الثورة العربية في مصر ـ ويقول المؤلف : هنا يجب التنبيه على أن العمـل الثوري الصحيح ، هو العمل الذي لا يثور فقط على الواقع العربي السياسي ، بل يعمل بوحي هذين الواقعين اللذين فرضتهما النكبة ، واللذين يقومان مقام قوانين ثورية لا يمكن لنا نقضهما أو التعرض لهما دون الانحراف الثوري .

فالنكبة لا تفرض علينا الوحدة وتدعمها ، وتحرض عليها وتدفعنا نحوها فحسب بل تشوقنـا كذلك الى اعتماد قاعدة ومحور لها . فاذا أردنا أن نعمل بوحي الأوضاع التي تحيط بالنكبة ، وتستقي المنطق الذي يسودها ، وجب علينا أن نعتمد ونؤمن بذلك القانون . وهو أن التجاوب الثوري مع قاعدة يثق بهـا ضحايا النكبة ضروري للعمل الثوري ، أكثر من ضرورة الخبز للحيـاة ، وهو أمر لازم لتحقيق الوحـدة ، والدولة الواحدة ، ولاحياء روح الحرية والنضال واستمرارها .

فمنذ حدوث النـكبة كان تحرير فلسـطين القصد الأعلى للعرب ، ولكن تاريخ ما بعد النكبة يدل بوضوح على عبث أية محـــاولة تنطلق من الوجود العربي التقليدي ، أو من تصحيح اصلاحي لذلك الوجود . والدليل القـاطع على ذلك هو أن المحاولات الجادة في هذا السـبيل تقوم الآن في الأقطار التي حدثت فيهـا تحولات ثورية جدية ، وأن صدق المحاولة يزيد بازدياد حدة التحول الثوري .

ولقد كانت النكبة تحديا يتجه الى تركيب الوجود التقليدي ككل وفي شخصيته العقائدية الأساسية ، وحدوثها يعني شيئا واحدا وهو انحلال ذلك التركيب وضرورة استبداله بغيره لكي يتمكن العرب من مواجهة التحدي الخارجي ـ والفـكر الانقلابي يجد نفسه أمام واجب مقدس ، وهو أن يجعل الثوريين العرب بشكل خاص يعرفون أن عليهم أن ينتقوا بين الغـاء الوجود العربي التقليـدي وبين بقاء الاحتـلال الصهيوني ، فيدركوا أن الغاء الاول هو شرط أساسي لالغاء الثاني .

لقد عاش الوجود العـربي التقليدي الذي يحمـل متناقضاته القاتلة حتى النكبة ـ آخر أيام حياته التي قامت نتيجة تسوية مفتعلة مع التـاريخ والى النكبة عاش العربي دون أن يعلم أن التاريخ يفرض عليه اذا أراد أن يحيا بكرامة ، ان يعيد النظر في هذا الوجود ككل . فقـد كشف هذا الوجود عن نفســه بصورة فاضحة في نكبة فلسطين . لأن الأوضاع التي سمحت بالحياة الأيديولوجية التقليدية التي قام منها ، ومبدأ التركيب الطبقي الاقطاعي الارستقراطي الذي اعتمدها ـ قد زالت . ولقد عجز هذا الوجود التقليدي بعد

النكبة – عن إيجاد تبريرات اخلاقية او تراكيب وانظمة تسمح له بالعمل والاستمرار ٠

وتدل النكبة على أن الأزمة التى يعانيها الوجود العربى هى أزمة شاملة وذلك يعنى أن المعالجة يجب أن تكون معالجة شاملة ٠ وقد كانت النكبة فى فلسطين مع غيرها من النكبات السابقة ، عارضا من عوارض المرض التى اصابت الوجود العربى.. يقول اندريه موروا « بأن مرض الشيخوخة الحقيقى ليس فى ضعف الجسم ، بل فى لا مبالاة الروح – » ولكم يصدق هذا القول على الوجود العربى أمام النكبة ، فالضعف الأساسى الذى كشفت عنه كان « اللامبالاة الروحية» مما دل على انحلاله العميق ٠ ونتيجة لذلك عجزت الطبقات العربية التقليدية الحاكمة – من الملوك الى الرؤساء الى الوزراء الى الحركات السياسية والأحزاب الى المجالس النيابية ٠٠ الخ عن اظهار اية كفاءة او ارادة فى حشد قوى الشعب العربى فى مواجهة خطر نكبة تحمل بين طياتها خطر الفناء للعرب وذلك يدل بشكل فاضح على الانحلال العميق الذى سادها وعلى التفسخ الرهيب الذى كانت تعيش فيه، وفى بعض الأحيان تثير المخاطر والنكبات الكبرى بقية من الارادة والكرامة فى نفس بعض الطبقات الحاكمة التى تكون قد استنزفت قواها وخسرت علاقاتها مع قوى التاريخ ، فتحاول أمام المخاطر أن تقاوم ولكن الطبقات العربية عجزت أمام الكارثة عن التدليل على اية بقية من بقايا الارادة والقوة واحترام الذات ٠ ويصعب فى الواقع تعيين طبقات اخرى فى التاريخ وصلت الى درجة أدنى من الدرجة التى وصلت اليها هذه الطبقات ٠ لان افلاسها لم يظهر فى أى شئ كما ظهر فى التدخل العسكرى المسرحى فى فلسطين ٠ فقد كشف ذلك عن ارادة مشلولة ، ونفسية صغيرة ، قل أن نجد مثيلا لهما بين الطبقات الحاكمة المفلسة فى التاريخ ٠ ومن ثم برهنت النكبة على أن التركيب الطبقى الذى يسود الوجود التقليدى لايمكن أن يحقق تجاوب العرب مع القرن العشرين وبذلك دفعت الى بروز تركيب طبقى جديد قوامه الجماهير العربية من فلاحين وعمال ومثقفين – الى تجاوز الوضع ومعالجته٠

***

وبعد فابتداء من يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ – من النكبة – ستتم ولادة جديدة للعربى ٠ من جحيم عارها ومهانتها وعذابها ، سيغسل العربى نفسه ويطهرها ٠ من الدموع التى أجرتها من مآقينا، سوف نعبد الطريق الى عالم جديد – ومن الحقد الذى أوغلت به صدورنا سوف تشرق شمس جديدة ، شمس المحبة القومية ، والأخوة الثورية ، التى توحد بيننا فتصهر مشاعرنا فى شعور قومى ثورى واحد ٠ من قلب الآلام التى رمتنا بها، سوف نستمد الغذاء الذى نحتاجه ، والجهد الذى نريده فى تحرير العربى من مساوىء وامراض ماضية وحاضره ، فتبنى لنا دنيا جديدة يعلو النبل فيها كل شئ ٠

ابتداء من النكبة سيظهر العربى من جديد ، بين عربى يعى مفهومها الثورى فيعمل معه وبوحيه ، وبالتالى يسهم فى بناء المصير الجديد ، وبين عربى يتحجر ويعجز عن أن يعيها فيبقى متخبطا فى « لا شيئية » الوجود التقليدى، وبذلك يعمل ضد النكبة، ويساعد الاستعماريين الصهاينة، مسببيها – ان روح النكبة هى روح التضحية بالاشياء والمصالح الأنانية٠ والعمل فى سبيل قيم خالدة من حرية قومية، وكرامة انسانية ، نقاء اخلاقى وطهارة ثورية ٠ فالنكبة هى روح الاستشهاد المادى والروحى٠ والعربى الذى يعلو الى صعيدها هو العربى الذى يعيها كشهيد ٠ فى النكبة ، اصبحنا شعبا شهيدا يتحقق فيه سر مقدس٠ فالنكبة قذفت بنا الى براثن الشر لكى نصبح وقد غرقنا فى الألم ، كالحديد المحمى الذى يتحول فى الماء، الى سيف حاد يسلط على كل ما يهين ويمتهن ، ليس للعربى فقط بل للانسان ولانسانية الانسان فى أى مكان ٠ لقد جعلت النكبة شياطين الأرض ترقص فوق رقابنا ، فوق أرضنا الذبيحة ، حيث نال كل قلب عذابه ، وكل عضو ألمه ٠٠ لقد كان ذلك ضروريا لكى نفهم معنى الوطن وخسارة الوطن معنى التشرد والعبودية – لكى نعى العدالة والحرية ، والوحدة ، والمحبة القومية والأخوة الثورية – وحب الانسان فى كل مكان – رغم أنف الفيلسوف الانهزامى « بى الحبيب » ٠

« تحسين عبد الحى »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

ترانيم الليل

تاليف : على الجندى

الناشر : دار المعارف · القاهرة

ديوان جديد للأستاذ الشاعر على الجندى يقع فى زهاء ثلثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير، هو بمثابة سجل لآلام وأشجان هزت ذكرياتها وأحداثها نفسه ، فترنم بها قصائد من عيون الشعر العربى .

قدم للديوان الجديد الأستاذ الكبير الدكتور شوقى ضيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، الذى أشار الى أن الشاعر يوقع ترانيمه وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة عن الآباء والأسلاف ، والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ، لا لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيقا موسيقيا صافيا يلذ الآذان كما يلذ الأفئدة ، فتصغى اليه منتشية بألحانه وأنغامه .

أما أبواب الديوان فأولها : «تحت راية الوطن» وثانيها : « فى ظلال العروبة » وثالثها : « صور من الحياة » ورابعها : « زفرات » وخامسها : « ذكريات الصبا أو بين أفنان الجمال » وسادسها الأخير : « خواطر وأفكار » ولا شك فى أن الباب الذى سيفتقده القراء من عشاق شعر شاعرنا الكبير ،هو « فى ظلال الاسلام » ولعل الشاعر فى طريقه الى اخراج ديوان جديد يحمل هذا المعنى .

النيل فى عصر المماليك

تاليف : الدكتور محمود رزق سليم

الناشر : دار القلم

هذا الكتيب أحد أعداد سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها الثقافة والارشاد القومى ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ويقع فى أكثر من مائة وأربع وخمسين صفحة من القطع الصغير . والمؤلف الدكتور محمود رزق سليم من المؤرخين المتخصصين فى عصر المماليك ولم يزل كتابه عن عصر المماليك مرجعا فيما يرجع اليه الباحثون والدارسون . والكتاب مقسم الى ثلاثة فصول فى الفصل الأول تحت عنوان : « من مؤلفاتهم التى تحدثت عن النيل » أشار الى نهاية الأرب للنويرى وهو فى أكثر من ثلاثين مجلدا طبع بعضه ولم يزل البعض الآخر مخطوطا ، كما أشار الى تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل وهو فى جغرافية بلدان كثيرة منها مصر ، ثم صبح الأعشى للقلقشندى ، والخطط المقريزية للمقريزى ، ثم بدائع الزهور لابن اياس.

وفى الفصل الثانى تحت عنوان : « من معارفهم عن النيل » . أشار المؤلف الى عديد من هذه المعارف

وفى الفصل الثالث تحت عنوان : « النيل فى حياتهم الاجتماعية » أشار الى عناية المصريين واهتمامهم بالنيل فى تلك الفترة .

ثم أشار الى النيل فى نثرهم الفنى وعلى الأخص محيى الدين بن عبد الظاهر ، وابن نباته المصرى ، وابن أبى حجلة المغربى ، كما أشار الى النيل فى شعر الشعراء ولا سيما الصفدى والقيراطى وابن حجة الحموى وابن مكناس .

● الناصر صلاح الدين

تأليف : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

الناشر : مكتبة مصر ـ الفجالة

هذا الكتاب هو العدد الواحد والاربعون من سلسلة أعلام العرب التى تصدرها الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ويقع فى ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط .

اشار المؤلف فى مقدمته الى ان المكانة الكبيرة التى حققها صلاح الدين لنفسه فى التاريخ انما جاءت نتيجة لموقفه الحازم من الصليبيين ولايمانه المطلق بالجهاد ، ولادراكه العميق لخطورة المراكز الصليبية بالشام على كيان العروبة والاسلام .

الكتاب فى ستة فصول : عالم مضطرب سبق ظهور صلاح الدين ، والطريق الى مصر ، حيث تحول الصليبيون من الاتجاه الى الشمال الشرقى بسبب استفحال قوة الزنكية فى شمال العراق ، الى الاتجاه الى الجنوب الغربى على حساب مصر والفاطميين .

وفى الفصل الثالث تحدث المؤلف عن تدعيم الوحدة ، حيث بدأ صلاح الدين دورا جديدا يستهدف منه توحيد كلمة العرب والمسلمين ، وكانت مرحلة تمهيدية لاعلان الجهاد الاكبر ليعجم صلاح الدين عود الصليبيين وفى الفصل السادس والاخير ، عرض المؤلف لأخلاق صلاح الدين ، فاذا كانت شهرته الواسعة فى التاريخ قد جاءت نتيجة لحسن بلائه وصبره على الجهاد وشجاعته فى مواجهة الأخطار ، فان هناك جوانب يجب الا تغفل ، فقد كان انسانا كريم الخلق ، وحاكما عادلا ، محبا لرعاياه ، حليما لم يطغه نصر ، ولم يستبد به غرور .

● رجال حول الرسول

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة ـ عابدين

هذا الكتاب الذى يقع فى مئتى صفحة من القطع المتوسط ، هو الجزء الثالث من السلسلة التى بدأها المؤلف منذ أكثر من عام .

وفى هذا الجزء عرض لاثنى عشر من اعلام الصحابة .

خالد بن الوليد : الذى لا ينام ولا يترك أحدا ينام .

وقيس بن سعد بن عبادة : ادهى العرب لولا الاسلام .

وعمير بن وهب : شيطان الجاهلية ، وحوارى الاسلام

وزيد بن الخطاب : صقر يوم اليمامة

وابو الدرداء : أى حكيم كان ؟

وطلحة بن عبيد الله : صقر يوم احد

والزبير بن العوام : حوارى رسول الله

وخبيب بن عدى : بطل فوق الصليب

وعمير بن سعد : نسيج وحده

وزيد بن ثابت : جامع القرآن

وخالد بن سعيد : فدائى من الرعيل الاول

وابو ايوب الانصارى : ممن نفروا خفافا وثقالا

الحق أن الاستاذ خالد له طريقة فريدة ، فهو لم يعن بالترجمة الحرفية الشكلية ، وانما حاول ان يستخلص جوانب العظمة فى هذه الشخصيات الخالدة ، التى كثيرا ما أغفلها المؤرخون .

« احمد الصادق عبد الصمد »



قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



● **تناقضات في الماركسية**

نشرت « الفكر المعاصر » عدد مايو ١٩٦٥ مقالا للدكتور زكي نجيب محمود عنوانه « الماركسية منهجا » . وقد استطاع الدكتور أن يكشف عن كثير من المتناقضات والثغرات التي تحتوي عليهما الماركسية . وبدأ المقال موضحا أن كل ما في الكون لايفلت من هذا التيار الدافق من تيار التغير والتطور والسير والحركة والنماء .

ثم انتقل الى الماركسية فبين أنها لا تفترق عن غيرها من المذاهب الفلسفية الاخرى التي تجعل التغير والتطور محورا وأساسا لروح العصر . لكن ماركس صاحب هذه النظرية وقع في تناقض ، ذلك انه ضم فكرتين متناقضتين احداهما الى الأخرى في سياق واحد وهما : فكرة التغير الذي لا بد للمجتمع أن يتطور به صاعدا من أدنى الى أعلى في مراحل تجيء كل مرحلة منها بجديد لايكرر ماكان قائما في المرحلة السابقة ، وفكرة الجبرية التي لا بد من افتراضها لو قبلنا مبدأ السببية الصارمة في سير التاريخ .. لأن جبرية التاريخ معناها أن الماضي كان يحمل الحاضر في جوفه ، وأن الحاضر يحمل المستقبل ، بحيث لو حللنا أية لحظة من لحظات التاريخ استطعنا أن نقرأ فيهـا كل ما هو آت .. ويقول الدكتور : « ولو كان الامر كذلك في سير التاريخ لما كان هنـاك جديد ينبثق في مراحل التطور الصاعد » .

وتناول « الحتمية » و « ارادة التغيير » فاكد انهما لا تتفقان وعلل لذلك بانه مع الحتمية لا تكون ارادة من جانب الانسان ، اذ لا يبقى لهذا الانسـان ازاء تطور التـاريخ الا أن « يتفرج على ما يحـدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء » ، مع أن ماركس كان حريصا على ألا يقف الناس ــ والفلاسفة منهم بوجه خاص ــ موقف المتفرج المتأمل ، بل لا بد لهم أن يغيروا العالم يقول : « **لقد اكتفى الفلاسفة بتفسير العالم بطرق مختلفة ، مع أن المهم هو أن نغيره** » .

وتساءل الدكتور : كيف أغيره اذا لم يكن هناك احتمال آخر ، وهو أن أتركه على حاله بغير تغيير ؟ مع أن الفرض الثاني ممتنع اذا كان التاريخ محتوم الوسيلة محتوم الاهداف .

ورد الدكتـور زكي على ما يقـال من أن تدخل الانسان بارادته في مجرى الاحداث مطلوب وذلك للاسراع في حـدوثها فيقول : باي شيء تريدني أن أتدخل في سير التاريخ لاسرع من مجرى أحداثه ، الا أن يكون ذلك بما أحمله في رأسي من افكار وقيم؟» وهذا يناقض زعما آخر زعمه ماركس هو أن الأفكار والقيم ليست سببا يسبق وقوع الاحداث ، بل هي نتيجة تتفرع عن ذلك الوقوع .

ثم قدم فرقا هاما بين الفلسـفة الماركسية ، وفلسفتنا الاشتراكية فوضح أن الأخيرة علاج لمشكلة قائمة ، وأما تلك فتعتمد على نبوءة تاريخية تستدل

بها على مرحلة لاحقة من مرحلة سابقة يقول المقال : « الفلسفة الماركسية تخلط بين « التنبؤ العلمى » وبين « التنبؤات التاريخية » وتجعل هذه من تلك ، مع أن التنبؤ فى الحالة الأولى قائم على تجربة عينية محددة ، نعلم منها أنه اذا حدث كذا وكذا من الظروف ، نتج كذا وكذا من النتائج ، كأن تقول مثلا انه اذا توافرت فى الجو الظروف الفلانية نزل المطر ، فنحكم على ما سيحدث بناء على ما قد حدث لما بين الحدثين من تشابه وتجانس ، وأما «النبوءة» التاريخية فلا تجربة فيها ولا مشاهدة ، اذ ماذا تشاهد وماذا تجرب اذا كان المستقبل المرتقب فى مراحل التاريخ الآتية هو شيء مختلف عن الماضى المنقضى من مراحل التاريخ التى انطوت صفحاتها ؟ انما النبوءة التاريخية قائمة على افتراض أن التاريخ سيسير فى خط معين معلوم ، وهى لا تختلف كثيرا عن « قراءة الكف » حين ينظر القارىء الى خطوط فى كفك فيتنبأ لك بكذا وكذا فى مستقبلك وذلك على « افتراض » أن خط الحياة يسير على نحو معلوم ». ومن هنا فان الفرق بين الفلسفة الماركسية وفلسفتنا الاشتراكية يتمثل فى رجلين « رجل يعطيك نظرية مؤداها أن منطق التاريخ يحتم عليك أن يجيئك المستقبل البعيد أو القريب بضائقة مالية أو بعلة مرضية لا قبل لك بردها ، ورجل يفتح عينيك على ما هو قائم حولك بالفعل من المشكلات، ليوجه انتباهك الى ضرورة حلها » .

وتناول المقال كذلك تحليل المنهج الماركسى لمسألة الترتيب المنطقى بين الفكر والواقع فبين ما وقع فيها من خلط وتناقض .

ذلك أن النظرية الماركسية ترى أن الجانب الشعورى من الانسان ليس هو الذى يحدد موضعه من الوجود الخارجى ، بل ان موضعه من الوجود الاجتماعى هو الذى يحدد جانب الشعور منه ويقول الدكتور « ان أول ما يلفت نظرنا ونود أن نثبته ولو على سبيل الفكاهة أن النظرية الماركسية «نظرية» أى أنها «فكرة» وقد جاء من جاء بعدها ممن آمنوا بصوابها فحاولوا أن يترجموها من « **عالم الفكر** » الى « **عالم التنفيذ والتطبيق** » وبقدر ما كتب لهم من نجاح فى ذلك فهم قد وجدوا فكرة سبقت النظام الاقتصادى الذى يحاولون أن يخرجوه على غرار تلك الفكرة ثم يضيف الى ذلك قوله « أنى اذا تصورت طائفة كبيرة القيم والمعايير فى حياة الناس قد نشأت نتيجة لازمة لشبكة العلاقات الاقتصادية القائمة ، ولنوع أدوات الانتاج المستخدمة ، فانه لمن المتعذر على أن أرى كيف تكون الحياة العقلية نتيجة لتلك الاوضاع المادية الخارجية ؟

وبين المقال أن ماركس وان يكن يصر على أن تكون الاولوية للواقع المادى الا انه يعلق أهمية على الجانب الفكرى بعد ذلك ، على اعتبار أنه هو المستوى الذى تتم فيه الحرية بمعناها الصحيح ثم خلص الدكتور الى ان ماركس «وقع فى تناقض منهجى حين افترض نطاقا للضرورة ونطاقا للحرية ، وجعل الاول للحياة المادية ، والثانى للحياة الفكرية ، ثم لم يفرق فى هذه الحياة الفكرية بين ما يجىء انعكاسا للاساس المادى، فيرتبط بحتميته ، وما يجىء ابداعا أصيلا فيتصف بالحرية من روابط الحتمية وضروراتها » .

ومضى المقال متتبعا مسار التفكير الماركسى وحصره فى خطوات ثلاث ذلك أن ماركس فى الخطوة الأولى حلل طرق الانتاج فى ظل الراسمالية فوجد أنها مؤدية — بما فيها من تنافس حر لا تضبطه ضوابط — الى أن تأخذ الاموال فى التركيز عند نفر قليل ، يظل على مر الزمن يزداد قلة وتكون هذه القلة الثرية هى الحاكمة،والكثرة الفقيرة هى المحكومة، ثم بنى ماركس على هذا « الخطوة الثانية » فبين أن الأمر يئول فيها الى طبقتين اثنتين : بورجوازية غنية حاكمة من جهة ، وعمال فقراء محكومون من جهة أخرى،وتوتر العلاقة بينهما يجعل النصر للطبقة الأخيرة،والخطوة الثالثة، يرتبها على نتيجة الخطوة السابقة فما دام صراع الحاكمين الأغنياء المالكين لأدوات الانتاج ، والمحكومين الفقراء العملين بتلك الأدوات لصالح أصحابها ، قد انتهى بانتصار حتمى للطبقة العاملة اذن فالنتيجة هى قيام مجتمع لا طبقى يتجانس أفراده ، هو الذى يملك وسائل الانتاج وهو الذى ينتج فى آن معا وناقش الدكتور هذه الخطوات لوضح أننا اذا سلمنا بما جاء فى الخطوة الأولى فهل ينتج عن ذلك حتما أن تختفى كل الطوائف الا طبقتين اثنتين : طبقة البورجوازيين الأغنياء ، وهى قليلة العدد ، وطبقة الجماهير العاملة التى تمتص سائر الطوائف الأخرى، يرى الكاتب ان استقطاب الناس فى هذين المحورين قد يصور الموقف فى محيط الصناعة وحدها ، لكن ذلك لايلزم عنه اختفاء طوائف أخرى فى بناء المجتمع ليست تندرج فى ذلك المحيط ، أين نضع رجال العلم ورجال الفن فى هذا التقسيم ؟ أين نضع المهنيين من

اطباء ومهندسين ومعلمين وغيرهم ؟ أين نضع أصحاب الملكيات الزراعية الصغيرة ؟

وناقش الخطوة الثانية فذكر أنه اذا سلمنا بصوابها فهل يلزم حتما ان تظل الطبقة العاملة التى هى عندئذ المجتمع كله ، متجانسة تجانسا يخليها من الصراع ؟ أليس هناك احتمال بأن تسير هذه الطبقة المتجانسة فى نفس المراحل مرة أخرى حتى وان اتخذ السير صورة اخرى ، وذلك بأن يعلو فريق على فريق ان لم يكن بكثرة المال وبملكية وسائل الانتاج ، فبغير ذلك من عوامل الجاه والسلطان ، ثم سرعان ماترتبط روابط المشاركة فى المصلحة أفراد اولئك وأفراد هؤلاء ؟ وينتهى الدكتور الى أن ذلك محتمل وليس مؤكد الحدوث وما دامت المقدمة الواحدة تؤدى بك الى أكثر من احتمال واحد ، فمن التحكم أن تختار أحد الاحتمالات الكثيرة على انه النتيجة المؤكدة » .

وبعد :

فمهما يكن من أمر هذه التناقضات التى كشفها المقال فى النظرية الماركسية فاننا نرى أن الدكتور زكى نجيب محمود قد استطاع بما يملك من اصالة الفكر وخصوبته أن يقوض هذه الأسس التى اعتمدت عليها كما استطاع أن يهز ماركس من ذقنه .

● احياء الأدب العربى :

فى جريدة « النيل » السودانية مقال للشاعر السودانى « أبو القاسم عثمان » طالب فيه بأن نعنى بأدبنا العربى شعرا ونثرا ولغة ونقدا ونقدمه للناشئة ليجاروا الحياة ويتجاوبوا معها يقول : الأدب العربى قديم ومتنوع ، وأدبنا المعاصر كثير ومتنوع ، فما الذى يمنعنا من بعث هذا التراث وتقديمه الى أبنائنا · ان الطلبة يرون وجها للحياة المعاصرة غير الذى يدرسونه من خلال هذه النصوص التقليدية · ثم قال انه ليس لنا بقاء ولا خلود الا بثقافة عربية تتغلغل فى نفوسنا وتجرى فى دمائنا ، والا التزود من الفكر العربى واعلاء شأنه وتعميقه فى أذهان الناس حتى نضمن وحدتنا وعزتنا وكرامتنا ·

ان الحرب التى شنها المستعمر على اللغة العربية والفكر العربى حرب صليبية الهدف منها هو اضمحلال شخصيتنا العربية وبالتالى الثقافة الاسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم رأس البلاغة العربية ·

● طرح ثقة على الجماهير :

اهتمت مجلة « الاذاعة والتلفزيون » بالبرقيات التى انهالت بكثرة على مكتب السيد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ، ذلك أن هذه البرقيات التى قالت المجلة عنها أنها وردت بالآلاف تدور حول المطالبة ببقاء مجلتى الرسالة والثقافة تلبية لرغبة حقيقية فى نفوس الجماهير فهاتان المجلتان استطاعتا ان تغطى الضعف الذى يسود الصفحات الأدبية فى المجلات السياسية ، وفضلا عن ذلك فانهما قدمتا للقارىء العربى الزاد الثقافى على المستوى العربى والعالمى وفى نفس الوقت لم تنفصلا عن الانتصارات الفكرية التى تحدث فى المنطقة العربية ، فقد تمكنتا من وصل ماضى الفكر العربى بحاضره ، ولم تطالب الجماهير هنا فى الجمهورية العربية المتحدة وحدها ببقاء الرسالة والثقافة فقد لوحظ أن العالم العربى أسهم بنصيب كبير فى المطالبة ببقاء المجلتين ذلك لأنهما يعتبران الميدان الحقيقى للكلمة ، ليس فى مصر وحدها ولكن فى عالمنا العربى كله ، ففى التخطيط الذى أعد لهما أن هاتين المجلتين لا تخاطبان القارىء العربى هنا فقط بل تخاطبان القارىء العربى فى كل مكان ، وفى نفس الوقت تفسحان صدرهما لتلقى الزاد الفكرى من كافة البلاد العربية ، لذلك فانه يمكن تسجيل حركة الفكر العربى كله من على صفحات هاتين المجلتين ·

ولعل هذا يدل دلالة كافية على عمق الدور الذى تقوم به هاتان المجلتان ، وعلى أن الجماهير يمكنها أن تحرس بفهم الينابيع الفكرية التى تعيش عليها ·

ولعل هاتين المجلتين تعتبران أول مجلتين تبقيان بناء على رغبة الجماهير وتلبية لمطالبها ·

ترى هل يسوقنا هذا الى أنه يجب أن تطرح الثقة بالمجلات كلها التى تصدر فى الجمهورية العربية على الجماهير لتقول كلمتها ، لأنها صاحبة الحق والمصلحة فى استمرار ماتريد ؟

تحية الى الجماهير الواعية لحقوقها ·

« محمد العوانى »



البريد الأدبي

هايد بارك عربية

بقلم عبد الرحمن ابو الخير
عضو نقابة الصحفيين

في هذه الايام .. حيث تتصارع تيارات الفكر المتضادة من مادية تتسربل بسرابيل العلم ، وواقعية على مستوى الاسلام ، ووجودية ذات شعب وشطحات فكرية .. واشتراكية تتفاوت بين مختلف درجاتها : من الشيوعية اليسارية الى راسمالية الدولة وافكار اخرى واخرى كثيرة .. وكل من هذه التيارات الفكرية بصرف النظر عن طبيعة الحكم على اى منها .. وخاصة طوفان الفلسفة المادية الملحدة المرتكزة على جدل سطحي ، ابعد ما يكون عن « الادراك الواعي لجوهر الانسان » وواقعية الوجود .

ولهذا اقترح ان تتبنى الدعوة لخلق مدرسة جدلية شعبية .. تلاميذها الشعب ، واساتذتها جمهور المثقفين بمختلف الوانهم من ماديين واسلاميين ووجوديين وغيرهم .. وذلك نقلا لهذا التقليد الديمقراطي العهيد في بريطانيا « حديقة هايدبارك » .. ولتكن هذه الحديقة لدينا هي « حديقة الحرية » ، على ان تقوم وزارة الثقافة والارشاد القومي بتجهيز منصة للخطابة بهذه الحديقة الواقعة بالجزيرة ..

فذلك ادعى لخلق تفاعل فكرى بين كافة تيارات الفكر في المجتمع ، وادعى الى اظهار الغث من الثمين من تلك التيارات التي تتصارع على مسرح المجتمع العربي المعاصر .

ان حديقة الحرية ستكون في اعتقادي مدرسة لحماية هذا الشعب من زيف الغزو الفكري والهامشية الحضارية .. وختاما انتظر رايك .

الموسيقى والغناء عند العرب

بقلم خميس سلمونة

فن الموسيقى عند العرب .. فن اصيل عريق اكتسب اصالته من صدق العاطفة وعراقته من سماحة الفطرة .. ولا يزدهر فن الموسيقى او الغناء الا حيث صفاء النفس ونقاء السريرة ورفاعة الحس ، فشدو البدوى في نايه ساعة الظهيرة وترنيمه تحت شجرته شاكيا ما بنفسه للنخيل والرمال والانعامه .. فتخرج شكواه صادقة معبرة عما في نفسه من آمال ولواعج تبثها احاسيسه نقية تحمل التعبير الصادق عن روحه الهائمة ونفسه الظمأى لحب خيمته وموطنه وبقايا اطلال محبوبته .. وقد غرست البادية بهدوئها الساحر وليلها الخلاب بنجومه الزاهرة وسمائه الصافية في القلب العربي حب الوطن والتود عنه .. وبهذا ازدهر فن الموسيقى عند العرب لرقة طباعهم وشمائلهم وميلهم الى البساطة والهدوء .

وبدات عندهم الموسيقى بالدف والمزهر والزمار .. وكانت القبيلة التي يظهر فيها مغن او موسيقى تتقاطر عليها شتى القبائل للتهنئة فتقام الولائم وتضرب المزاهر وتدق الطبول احتفاء بالوفود المهنئة وتعيش القبيلة مع ضيوفها المهنئين ليالى عدة في افراح متتالية .. وكان سوق عكاظ يكتظ بالقبائل من اقصى الجزيرة العربية الى اقصاها وكل منها تتباهى وتزهو بما انجبت من مداحين وموسيقيين وشعراء حتى انشد احدهم يقول :

تغن في كل شيء انت قائلـــه
ان الغناء لهـــذا الفن مضمار

بهذا ندرك ان العربي اراد ان يعمم الغناء ويعمل على انتشاره فهو احد الدلائل على صدق الرواية وصـــدق القائل .. وبدا الغناء العربي اول ما بدا بالحداء .. وكانت تردده العرب في ترحالهم وراء ابلهم وانتقالهم من مواطنهم طلبا للمرعى وعيون الماء وصنف العرب الحداء الى مذاهب ثلاث :

١ ـ السناد : وهو اللحن الثقيل .. متعدد النغم .. كثير النبرة ..

٢ ـ الهزج : وهو يخالف السناد في لحنه الخفيف وينشد دائما في مجالات الرقص والطرب على انغام الموسيقى بواسـطة الزمار وضربات الدفوف .

٣ ـ النصب : وهو يخالف الهزج حيث انه لغة المراثي والماتم (العديد) .

ولعبت الفتاة العربية دورا هاما في الغناء وادلت بدلوها فيه معبرة عن شعور العرب حين امتنع عنهم المطر فقالت :

الا يا قيل ويحك قم فهينـ
ـسم لعل الله يصبحنا غماما

وعبر الغناء عن شتى مجالات الحياة العربية فاستخدم فى الحرب والحث عليه :

وانا نضرب اللحاء حتى تول والسيوف لنا شهود

واختلط العرب بحكم الجوار بالفرس والروم واخذوا عنهم الجديد فى صناعة الموسيقى وفن الغناء، وعرف العود عند العرب على اثر هذا الاختلاط ، وامتزجت الاغانى والموسيقى الفارسية بكلمات والحان عربية اصيلة ٠٠ وفى العصر الأموى الزاهر اشتهر ابو جعفر بن عائشة كاشهر مطرب عربى حينئذ وكان يتغنى بامجاد الاسلام والفتوحات العربية الزاهرة والانتصارات المتوالية من الاندلس غربا حتى بلاد الصين شرقا ٠

وفى العصر العباسى حيث ارتقاء الفنون والآداب على ضوء الاختلاط وبعث حركة الترجمة والنهوض باحياء التراث العربى والنقل اليه من الفارسية والرومية ولمعت اسماء عربية كاسماعيل ابن جامع وابراهيم الموصلى واغدق الرشيد عليهما من منحه وعطاياه ما جعلهما عنادل شادية مغردة فى رياض فيحاء زاهرة واهتم الرشيد اهتماما خاصا بالموسيقى واوفد النابغين فيها الى بلاد الفرس والروم فى بعثات مستمرة للالمام بالجديد فى هذه الفنون وبذلك حدث التجديد فى اللحن العربى على اثر هذا الاختلاط ٠

وجاء اسحق بن ابراهيم الموصلى خلفا مبدعا لسلف فنان رقيق الا وهو والده ابراهيم الموصلى وعلى يديه استعمل العود لأول مرة كآلة وترية مستحدثة واخترع « الناى » وكان « زنام » العربى من ابرع النافخين فيه حتى ان (الرشيد) كان لا يخرج للصيد الا وزنام معه والناى فى كمه وازدهر فن المواليا على اثر حدوث نكبة البرامكة وعبر هذا اللون من الغناء عن روح الوفاء والاخلاص التى اشتهر بهما العربى على مر العصور حتى انهم وضعوه موضع التقديس والاجلال :

وللغناء مع الحديث نظام
ان الحديث على السماع حرام

وكان لفلاسفة العرب المرموقين الدور الكبير فى ارسائهم فن الموسيقى حتى انهم وضعوا له القوانين والأسس التى يسير عليها الى اليوم وادخلوا الآلات الموسيقية لأول مرة فى تاريخ الفن الموسيقى ٠

ويعتبر الفارابى الفيلسوف العربى الشهير ابرع ضارب على القانون والشاعر الأعشى كان مؤلفا غنائيا من الطراز الأول حتى انه لقب بـ « صناجة العرب » لاثراثه الحركة الفنية وذيوع صيته كعلم من اعلام الموسيقى العرب ٠

وعلى ضوء حركة الترجمة واحياء العلوم فى العصر العباسى واثر التبادل الفنى عرفت بعض الآلات الموسيقية واستجلبت من مواطنها الأساسية مثل « الزهر » الاندلسى و « الطنبور » الفارسى و « الكمنجة » التى قال الشاعر فيها :

قم يا نديمى وبادر الى سماع كمنجا
فليس من راح منا او غاب عنا كمن جا

اما الربابة والناى فهما آلتان عربيتان اصيلتان قال البحترى فى الأخيرة :

وعود بنان حين ساعد شدوه
على نغم الألحان بناى زنام

وعرفت عند العرب الفرق الموسيقية وسميت « نوبة » اى فرقة وكانت « النوبة » تنتقل من قبيلة الى اخرى تقيم فيها بضع ليال تستعرض امجادها وبطولاتها ومراعيها وقال فيها احد شعراء الأندلس :

ونوبة من صهيل الخيل يسمعها
بالرمل اطيب الحانا من الرمل

ولاهتمام فلاسفة العرب بالموسيقى ظن بعض النقاد ان الفلسفة جزء من الموسيقى وذلك للولع الشديد الذى انتاب فلاسفتنا حيا فيها ودراستها وتحليلها ٠٠ فكتب الكندى فيها ما يربو على سبعة من امهات الكتب فى علم الموسيقى وقسم « السلم الموسيقى » الى «اثنتى عشرة» نغمة واعتبر العقل وحى الالهام للكلمة واللحن ٠٠ وهجر الفارابى مدينة « فاراب » آتيا الى « بغداد » باضوائها وحركتها العلمية الناهضة الشاملة ٠٠ حيث كانت آنذاك منار الشرق ومهد الحضارة ٠٠ فصنف الكتب الموسيقية وادخل التحسينات العديدة فى الات الموسيقى والغناء ، وكان للعالم « ابن سينا » دورا طليعيا مأثورا فى هذا العلم فكرس حياته له وطلع لنا بقوله لأول مرة ان (الموسيقى علم) له منهجه واسسه وخصائصه فصنف « الهارمونى » وانواع « تعدد الاصوات » والف ثلاثة كتب فى علم الموسيقى احدهم بالفارسية ٠

وهكذا ولع اجدادنا العرب بالموسيقى وتركوا آثارهم فى هذا العلم خالدة مخطوطة بدور الكتب فى العالم تشهد بفضلهم ودورهم الطليعى الكبير فى خدمة الفنون الجميلة وكانت الموسيقى بالنسبة للعرب لسان صدق لهم فى الحرب والسلم وضروب الحياة اليومية من افراح واتراح وعلاج للمرضى واضافت الموسيقى الى امجادهم فى الطب والفلك والفيزياء وشتى العلوم الانسانية مجدا خالدا ٠٠ فبرز دور الموسيقى فى الحياة العربية الأصيلة لتكون دليلا على رفاهة حسهم ورقة اذواقهم ونبل اخلاقهم وليعطوا للعالم شرقه وغربه صورة صادقة عن سبقهم الدائب فى الفنون ، فمع صهيل الخيل وصليل السيوف ٠٠ تسمع اهازيج البدو وضرب الدفوف٠٠فتربعت الموسيقى فى قلوب الناس فهى تخاطب العقل والعاطفة والشعور والوجدان جميعا ٠

وقد كان فضل السبق لاجدادنا العرب فى هذا الميدان انهم لم يتخلفوا عن مجاراة الحضارة العالمية وما زالت الموسيقى العربية الخلد لحن فى سمع الزمن منذ ترنيمة المهد حتى مرثية اللحد ٠

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومي



١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ جهة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض الفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .

طنطا من ١٥ مايو ١٩٦٥ إلى ٢١ مايو ١٩٦٥ قاعة الاجتماعات بدار الكتب

اكسير الحياة

تأليف ريتشارد جارنيت

ترجمة صبحي الجيار

كان الفيلسوف الشيخ ، ابو نيل ، يعيش في قلعة عالية في مدينة ، بالغ ، ، حيث كرس نفسه لدراسة الكيمياء والعلوم الغامضة ٠٠ ولم يكن يدعو احدا الى معمله ٠ ولا يعني هـذا انه كان يتجنب الادميين تماما ، بل على العكس ، فقد كان له سبعة تلاميذ من الشبان الذين ينتمون الى انبل العائلات في المدينة ، كان يزودهم – في اوقات معينة – بالفلسفة وكل المعلومات القانونية المشروعة محتفظا لنفسه بالعلوم والحكمة غير المباحة ، وهي التي تتعلق بالسحر والكيمياء الخرافية التي تبحث في تحويل المعادن الى ذهب ٠

وذات يوم استدعى تلاميذه السبعة الى صومعته السرية فدلفوا اليها في رهبة وفضول ٠ لكنهم لم يلحظوا شيئا ، بل راوا استاذهم الحكيم واقفا خلف منضدة ، كان فوقها سبع قارورات بللورية ، مملوءة بسائل صاف شفاف كالماء ٠

وبدا الحكيم يتكلم :

– انتم تعلمون يا ابنائي كم اكافح واجاهد بحماس لاكتشف اسرار الطبيعة الغامضة ، وكي احل المعضلات التي اغرت العلماء وحيرتهم على مر العصور ٠ لقد كانت هذه المسالة هي هدفي دائما ٠ ولكني – حتى امس – لم يكن حظي بافضل من هؤلاء الذين سبقوني ٠ ثم القدر الضئيل الذي امكنني انجازه يبدو تافها اذا قورن بالقدر الذي اضطررت الى تركه غير كامل ٠ وحتى الآن يعتبر نجاحي نسبيا ، فاني لم استطع ان اعرف كيف اصنع الذهب ، وليست لي حكمة سليمان ولا استطيع ان اعيد جوهر الحياة الى الموتى ، ولا انفث الحياة في الجماد ٠ ولكني اذا لم اكن اقدر على خلق الحياة فان في استطاعتي ان احافظ عليها وابقيها فقد اكتشفت اكسير الحياة ٠

صمت الحكيم لحظة ليختبر ملامح تلاميذه ، فالفاها مكتسية بدهشة بالغة ، وايمان لا شك فيه بصحة ما قاله استاذهم ٠ وقد اشرقت عيونهم بوميض من امل خجول في انهم قد يشاركونه في هذا الاكتشاف العظيم الذي صارحهم به ٠ وعندما ادرك الحكيم مشاعرهم هذه ، استطرد يقول :

– اني ارغب في اطلاعكم على هذا السر اذا شئتم ٠٠٠

فانطلقت منهم صيحة جماعية ، اكدت له ان لا داعي لتشككه في رغبتهم ٠ وعاد يقول :

– ولكن تذكروا ٠٠ ان هذه المعلومات – كاي معلومات اخرى – لها مضارها وعواقبها ٠٠ ان لكل شيء ثمن ٠٠ وعندما اليتم هنا لتتلقوا هذا العلم فمن المحتمل انه يبدو لكم جم الصعوبة ٠٠ واود ان تفهموا ان الشروط التي ساعرضها عليكم ليست من عندي ٠ ان هذا السر قد اتى الى عن طريق الارواح ٠٠ ولم احصل عليه عن طريق المنحة ٠٠ بل حصلت عليه تحت شروط حاسمة اضطررت ان امتثل اليها ٠ واحب ان تفهموا ايضا انه لا يعنيني ان استخدم هذه المعلومات لمصلحتي الخاصة ٠٠ فان السنوات الثمانين التي قطعتها من عمري قد جعلتني اكثر حرصا والتماسا لهذه الوسائل التي تختصر الحياة اكثر مما تطيلها ٠ وقد يكون من المفيد لكم اذا استطاعت خبرة السنوات العشرين من عمركم ان تؤدي بكم الى نفس النتيجة ٠

لم يبد اي اعتراض على احد من الشبان ، بل اسرعوا بالموافقة في حماس مدفوعين بما يكتنف حياتهم من فراغ وغرور ، وتذمر ٠ وكذلك من اجل مبادىء معلمهم النبيل ، الذي كان راضيا عن تصرفاتهم وطباعهم ، الا انه كان محتاجا لمن يقنعه بالهوة السحيقة بين النظرية وتطبيقها ، وبضعف الاقتناع العقلي بجانب الغريزة الفطرية ٠

وفي صوت واحد ابدوا جميعا استعدادهم لتحمل اي مخاطرة معقولة ، وتطوعوا لاجراء اية تجربة ، راضين بهذا الشرط الذي يؤهلهم للاشتراك في السر العظيم الذي اكتشفه استاذهم ٠

وعاد الحكيم يقول :

– وهو كذلك ٠٠ والآن انصتوا الى الشروط ٠٠ على كل منكم ان يختار احدى هذه القوارير السبع بطريقة عفوية ٠٠ ثم يتجرعها في الحال ٠ ان واحدة منها فقط تحوي على اكسير الحياة ٠٠ اما القوارير الاخرى فتختلف محتوياتها تماما عن قارورة الاكسير ٠٠ انها تحوي ستة انواع من السم المميت ٠٠ وهي اقوى سموم استطاعت مهارتي ان تمكنني من تحضيرها ٠٠ ولم يعرف العلم حتى الآن ترياقا لهذه السموم ٠ فالنوع الاول يسلخ الاحشاء كجمرة من نار ٠ والثاني يقتل ضحيته بتجميد جميع اوعيتها الدموية ٠٠ ويشل اعصابها ٠٠ والسم الثالث يقضي على الانسان

بانتفاضات مجنونة مهلكة .. اما الرابع فان من يتجرعه سيكون اسعد حالا نسبيا .. لانه سيسقط على الارض في الحال فاقد الحياة .. كان البرق قد صعقه .. لكنى لا اشفق كثيرا على الخامس الذى سيقع فى غيبوبة على الفور .. ثم يقضى نحبه فى غفوة خالية من الالم . ولكن ما اتعس الذى سيختار القارورة السادسة فان شعره سيسقط عن راسه .. وينفصل جلده عن جسده .. ويظل طويلا على قيد الحياة يعانى من عذاب مبرح .. يتمنى معه الموت . اما القارورة السابعة .. فهى التى تحوى هدفكم المنشود ...

ثم صاح فيهم :

ـ مدوا ايديكم نحو المائدة فى ان واحد .. وليقبض كل منكم على احدى القوارير دون تردد .. ثم يتجرعها فى جراة وشجاعة .. ودعوا القدر يختار لكم . وسوف تحدد النتيجة قدر ما لكل منكم من حظ .

تشاور التلاميذ السبعة معا ، والذهول مخيم على وجوههم ، ثم اتجهوا جميعا شاخصين نحو استاذهم ، املين ان يكتشفوا شيئا من علامات المزاح على ملامحه الوقورة ، ولكنهم لم يروا على محياه غير مهابة رزينة ، او ربما كان يومض من خلفها تعبير صارم ساخر .

واخيرا راحو يمعنون النظر فى القوارير ، املين ان يلمحوا فيها اى اختلاف ضئيل قد يساعدهم فى تمييز الاكسير عن السموم ، ولكن خاب ظنهم ، فقد كانت القوارير متشابهة تماما فى مظهرها الخارجى ، وكانت محتويات كل منها متساوية فى شفافيتها ولونها المعدوم .

وبعد فترة قال « ابوتيل » فى دهشة لم يعرفوا ان كانت حقيقية او مفتعلة :

ـ ماذا تنتظرون ؟ .. كنت احسب انى سارى ستة منكم يعانون سكرات الموت .

لم تكن كلماته هذه لتشجع السبعة المرتجفين . ثم تقدم منهم اثنان ، هما اكثرهم شجاعة ، ومدا يديهما الى منتصف الطريق نحو المنضدة . ولكنهما عندما ادركا ان الاخرين لم يقتدوا بهما ، عادا فسحبا يديهما فى شئ من الارتباك .

واخيرا هتف احدهم محطما الصمت الحائر :

ـ لا تظن ايها المعلم العظيم انى شخصيا احرص على حياتى التافهة .. ولكنى ارعى امى العجوز .. التى ترتبط حياتها بحياتى .

وقال الثانى :

ـ وانا لى اخت غير متزوجة يجب على ان اعولها .

وقال الثالث :

ـ وانا لى صديق حميم اخنى عليه الدهر .. وليس من الحكمة ان اتخلى عنه .

وقال الرابع :

ـ اما انا فلى عدو اود ان انتقم منه .

وقال الخامس :

ـ لقد وهبت حياتى كلها للعلم .. فهل ارضى بتركها قبل ان تشمل ابحاثى البحار السبعة ؟

وتساءل السادس :

ـ وهل ارضى انا بترك الحياة قبل ان اتحدث الى الانسان الذى يعيش على سطح القمر ؟

واخيرا قال السابع :

ـ اما انا فليست لى ام او اخت .. وليس لى اصدقاء ولا اعداء . كذلك حماسى للعلم لا يوازى حماس زملائى .. ولكنى احترم جسدى واعتز به كثيرا .

فقال الحكيم مجملا قوله :

ـ اذن فالنتيجة النهائية انه لا احد منكم سوف يخاطر فى سبيل كاس الخلود ؟

ظل الشبان صامتين فى خجل وارتباك ، عاجزين عن تلقى كلمات التقريع من استاذهم ، وعاجزين عن تبرير مسلكهم . كانوا ينشدون حلا وسطا لهذه المعضلة ، ولكن الحل تلكا فى الظهور . واخيرا قال احدهم :

ـ قد يكون من الاوفق الا نجرع القوارير دفعة واحدة ، بل يجرع كل منا قنينته على التوالى ، وليفعل القدر بنا ما يشاء ...

فاجاب « ابو تيل » :

ـ ليس لى اعتراض على هذا الاقتراح .. فقط تذكروا ان اقل محاولة لمخالفة الشروط بترجيح الفرصة لاى فرد منكم .. سوف تعنى فشلكم جميعا .

واقترحوا اجراء قرعة . فاسرع التلاميذ وتناولوا سبع قصبات غير متساوية فى الطول ، وشرعوا يسحبونها بالطريقة المعتادة ، فاستقرت القصر العصى فى يد احدهم ، وهو الذى يتذرع بواجبه البنوى نحو امه ، فتقدم نحو المنضدة فى كثير من العزم والتصميم وامتدت يده الى منتصف الطريق دون تردد ، ثم التفت الى زميله الذى يمسك بالعصا التالية فى الطول ، وكان هو الذى يقيم مع اخته ، وقال بسرعة :

ـ ان العلاقة بين الام وابنها اقوى واقدس من الصلة بين الاخوة .. اليس من الواجب اذن ان تواجه انت هذه المجازفة بدلا منى ؟

فاجاب الشاب المعنى بالحديث فى ايجاز :

ـ ان العلاقة بين الام العجوز وابنها البالغ ، ولو انها اكثر قداسة لا يمكن ان تكون دائمة ، اذا ما ادركنا انها ستنفصم عراها بالموت ، بينما العلاقة بين الاخ واخته قد تدوم الى سنوات طويلة اذا شاءت ارادة الله .. لهذا يجب ان تجازف انت اولا بهذه التجربة .

فصاح المتحدث الاول فى سخط :

ـ هل وصلت بى الحال لان اسمع مثل هذه السفسطة من تلميذ للحكيم ابوتيل ؟ .. ان علاقة الام بابنها ...

فصاح السادس مقاطعا :

ـ لتوقف هذه التفاهات لحظة .. فاما ان تنفذ الشروط او تتخل عن هذه المهمة .

تحمس التلميذ لهذا الاستعجال ، فمد يده الى المنضدة وامسك باحدى القوارير ، وما كاد يلمسها حتى خيل اليه انه اكتشف شيئا من الاختلاف فى لون السائل مما تشاءم له ، وتوهم انه يعكر صفو شفافيته فيميزه عن باقى القوارير ، فاسرع يعيدها الى المنضدة . وامسك بالقارورة التالية . وفى تلك اللحظة انفجر وهج من الضوء امامهم ، فسقط التلاميذ السبعة مصعوقين ، وتمددوا على الارض فاقدى الوعى .

وعندما استعادوا قواهم ، وجدوا انفسهم خارج مسكن الحكيم « ابوتيل » ، متأثرين بالصدمة والاهانة التي لحقت بهم لما اقترفت ايديهم ، ثم تعاهدوا جميعا على الاحتفاظ بسرهم ، وعادوا الى بيوتهم .

لم يبق السر مستورا بين السبعة كما كان منتظرا ، كأي سر موزع بين افراد كثيرين ، وفي ظرف ايام قليلة كان السر معروفا لمعظم اهل مدينة « بالخ » وكان آخر من عرفه هو السلطان الذي ارسل حراسه في الحال ليقبضوا على الحكيم ويستولوا على اكسير الحياة .

ظل الحراس يطرقون باب الحكيم « ابوتيل » دون ان يتلقوا اذنا بالدخول ، فكسروا الباب ، وما كادوا يدلفون الى حجرته ، حتى وجدوه جالسا في كرسيه فاقد الحياة ، وعلى ملامحه ابلغ آيات الازدراء للجرعة واهبة الحيـاة . وامامه فوق المنضدة ، كانت القوارير السبعة ، ستة منها مازالت مليئة ، واما السابعة فكانت فارغة . ووجدوا في يده ورقة ملفوفة مكتوب عليها :

« سنوات طويلة قضيتها في البحث وراء العلم والمعرفة ، وها انذا اترك للعالم ثمار كدحي وجهودي .. وهي ستة انواع من السم الزعاف .. وكان من الممكن ان اضيف اليها نوعا آخر لكني امسكت عن اتمامه ...

اكتبوا فوق قبري : هنا يرقد الرجل الذي رفض ان يدوم العذاب الانساني .. فوهب للبشرية نعمة الموت التي قد تكون في حد ذاتها غير ضارة » .

تطلع الدخـلاء الى بعضهم البعض ، وهم يجـاهدون لكشف الغموض عن كلمات « ابوتيل » الأخيرة .

وبينما هم كذلك محدقين ، اذ انزعجهم صـوت مرتفع لشيء يتحطم في الحجرة المجاورة . وتضاعف انزعاجهم عندما انطلق امامهم قرد ضخم ذو فروة ناعمة ، في غاية المرح ، يتحرك في نشاط خارق ، مما اقنع الجميع بان الفيلسوف الفقيد ـ وهو تحت احساس طاغ من التهكم والازدراء ـ قد قدم الى هذا المخلوق كل قطرة من اكسير الحياة .

ترجمة : صبحي الجبار

(بقية المنشور على صفحة ٣٣)

يا نهـر ، لولا الضـنى ، لولا خطايانـا   ما كان أغنـاك ، بل ما كان أغلانـا
انا جرحنا بأيدينـا جوارحنـا   عميا مضلين ، حتى كان مـا كانا
حتى طوينا القفـار الجرد تحسـبنا   ذئب في جنبـات الأرض ديـدانا
ولاذ كـل أبي في مغـارته   يقطع الليل آهـات وأحزانـا
لم تحمه لاجئـا ، دنيـا يلوذ بهـا   ولا اغاثته في بلواه حـيرانا
ورب لاجئـة هـزت بصرختهـا   لكل معتصـم بالغي آذانـا
لكنهـا .. لم تلامس أذن نخوتنا   عربا ، ولا هـزت الأرواح ايـذانا
في حين ، يمرح في أرجـاء جنتهـا   باغ ، فيلقى بها روحا وريحانا
يا نهر ، يا راويا من مجدنا عبرا   غـرا ، بكينـا بهـا مجدا وأوطانا
وموحيـا للبرايا في ترنحـه   ذكرى ، نتيـه بها فخرا وايمـانا
أيام كنت ، وكان المجـد مبتسـما   نرعاك في ظله حرا وترعـانا
رعاك « آشـور » فاختالت مصـفقة   ضفافك الخضر ، ادلالا بمـا كانا
وازينت ببني العبـاس ، تحسبهـا   مرابعـا كجنـان الخلد غيطـانا
« هـارون » يخطر في أرجائهـا جذلا   معطـرا بنـدى الطيـب أردانا
« وألف ليـلة » تغفو في مرابعها   نشـوى ، فيوقظها « اسحاق » نشوانا
والشاعر الماجن العربيـد ، يسكرها   بالشعر حينا ، وبالصهباء احيـانا
كم جر فوق الثرى زقا ، وطرزهـا   مساحبـا ، عبقت طيبا وريحـانا
وكم سقاهـا بفيض من عواطفـه   عند الضفاف ، فاغناها وأغنـانا
فأين يا نهـر ، دنيـا رفرفت حقبـا   على الدنا ، برقيـق من سجايانا ؟
أين الألى لعبوا سلما ، وان غضبوا   « شـنوا الاغارة فرسـانا وركبانا »
واخجـلة القوم ، عـادت كلها حلمـا   نعدت في اثرهـا خجـلان خـزيانا
محـا البلى كـل طيف من مآثرها   وما محـا لك يا ابن الخلد عنوانا

بغداد ـ محمد جميل شلش

نظمت هذه القصيدة قبل ثورة تموز .



الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٣

العدد ٩٥